

تفسير سورة الإخلاص
للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا
(٤٢٨هـ/١٠٣٧م)

تحقيق ودراسة د. عبدالله عبد الرحمن الخطيب*

بسم الله الرحمن الرحيم
المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين. وبعد، فإني أضع بين يدي القارئ تحقيق مخطوطة مبينة في التفسير للفيلسوف المشهور ابن سينا. وهذا التفسير هو تفسير فلسفي وقد أخرجته بالطريقة العلمية المثبتة في تحقيق التراث، فاعتمدت على أربع نسخ مخطوطة، وقدمت له بدراسة عن حياة المؤلف وجيله ومنهجه في هذا التفسير، وفكره الفلسفي الإلهي، لأن هذا التفسير يتعلق بتفسير سورة الإخلاص، التي تتكلم على الله تعالى وصفاته. وجعلت البحث في ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قسم الدراسة ويشتمل على خمسة مباحث:

المبحث الأول: ترجمة الرئيس ابن سينا.

المبحث الثاني: مؤلفات ابن سينا في التفسير.

المبحث الثالث: صحة نسبة هذا التفسير إلى ابن سينا ووصف

(*) أستاذ مساعد في علوم القرآن والتفسير - جامعة الشارقة.

المخطوطات والنسخ التي حصلتُ عليها المعتمدة في التحقيق، وغير المعتمدة.

المبحث الرابع: منهج ابن سينا في هذا التفسير والجانب الإلهي عنده.

المبحث الخامس: عملي في التحقيق، وصور عن نسخ المخطوطة.

القسم الثاني: قسم التحقيق:

النصّ المحقّق مع الحواشي في الاختلافات بين النسخ.

القسم الثالث: التعليقات على النصّ.

أخيراً وضعتُ قائمة المصادر والمراجع.

القسم الأول

المبحث الأول

ترجمة الرئيس ابن سينا Avicenna (٣٧٠-٤٢٨هـ / ٩٨٠-١٠٣٧م)

أ - إسمه وكنيته ولقبه

العلامة الشهير الفيلسوف الحسين بن عبدالله بن سينا، أبو عليّ البلخي ثم البخاري صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق^(١). من أشهر

(١) محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرنؤوط ومحمّد العرقسوس، (بيروت، مؤسّسة الرسالة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٦م)، ط ٤، ج: ١٧، ص: ٥٣٢، ولزبد من المعلومات انظر: عبد الحيّ بن العماد الحنبليّ، شلرات الذهب في أخبار من ذهب: (بيروت، دار السيرة، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ط ٢، ج: ٣، ص: ٢٣٤-٢٣٧؛ وغير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤) ط ٦، ج: ٢، ص: ٢٤١؛ وبطرس البستاني، دائرة المعارف، (بيروت، دار المعرفة، لا ت.)، ج: ١، ص: ٥٣٥-٥٣٩؛ وموجز دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكريّ، (الشارقة، ١٩٩٥)، ط ١، ج: ١، ص ١٩٦-٢٠٨؛ وجورج شحانة فتواتي، مؤلفات ابن سينا، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٥٠)، ص: ١٥ - حاشية رقم: ١؛ ومحمّد عاطف العراقيّ، الفلسفة الطبيعيّة عند ابن سينا، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٣)، ط ٢، ص: ٣١-٣٧؛ وخصوصًا حاشية رقم: ١، ص: ٣١؛ وبن «Ibn» A.M. Goichon, art. «Ibn Sina», in *Encyclopaedia of Islam*, new ed., B. Lewis, J. Schacht and others, Vol. 111, (Leiden, See also George Hourani, «Avicenna, essay on the Secret of Destiny», in 1986), pp. 941-947. *Classics of Philosophy*, ed. Louis P. Pojman, (Oxford: Oxford University Press, 1998), pp. 429-431; and W. Montgomery Watt, *Islamic Philosophy and Theology an Extended Survey*, (Edinburgh: the University Press, 19950, 2nd ed., pp. 69-74). مصادر عديدة مفضّلة في ترجمة ابن سينا ألقت الضوء على حياته وأسفاره وكتبه، وشيوخه، وتلاميذه. ومن أهمّ هذه المصادر: ١ - ترجمة تلميذه أبي عبيد عبد الواحد الجوزجاني التي أخذها مباشرة عن ابن سينا وأكملها بما يعرفه من أحوال شيخه منذ أن تيّته وحتى أن توفّي. وتعدّ هذه الترجمة مصدرًا لكلّ من ترجم لابن سينا. ٢ - تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين أبر الحسن عليّ بن زيد البيهقي =

الحكماء والأطباء العرب، فهو أبقراط الطب، وأرسطو الحكمة عند العرب والإفرنج^(٢) وهو رأس الفلاسفة الإسلاميين لم يأت بعد الفارابي مثله^(٣). ويلقب باللقاب عديدة منها: الحكيم والوزير وشرف الملك وحجة الحق، وأشهرها الشيخ الرئيس. ويرى الدكتور أحمد فزاد الأهواني أن الشيخ لقب اكتبه ابن سينا من اشتغاله بالعلم، والرئيس من اشتغاله بالسياسة^(٤)، فقال: «فالشيخ لقب علمي، والرئيس لقب سياسي، والشيخ الرئيس يدل على جمعه بين الاشتغال بالعلم والحكمة وبين السياسة والوزارة، فهو أشبه

ص: ١١٦٩/هـ-١١٦٩ م. ٣ - أخبار العلماء بأخبار الحكماء، لأبي الحسين علي بن يرمف القفطي ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨ م. ٤ - عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لموفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يرنس السعدي الشهير بابن أبي أصيبعة ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩ م. ونجد ترجمته في كتب التاريخ والتراجم العامة مثل: وفيات الوفيات لابن خلكان، والوافي بالوفيات لابن أبيك الصغدني، ومرآة الجنان للبانيني، والبداية والنهاية لابن كثير، ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التراجم العامة أو الفلسفة أو الطب أو غيرها إلا وفيه ذكر لابن سينا، إلا أن ابن الجوزي أغفل في كتابه المتظم ترجمته، وتأثر بذلك ابن الأثير فلم يذكره في الكامل إلا باختصار شديد مع الذم. ومدار هذه التراجم كما ذكرت سابقاً على ترجمة تلميذه الجوزجاني التي نقلها كل من البيهقي والقفطي وابن أبي أصيبعة. وهناك مصادر لترجمته بالتركية وبالفاوسية مثل ترجمة أحمد بن عمر بن علي المعروف بالنظامي العروضي السمرقندي في مصنفه المشهور: جهار مقالة. أما الكتابات الحديثة فكثيرة جداً وبلغات العالم المختلفة، فقد نشرت له ترجمة في دمشق باللغتين العربية والإنجليزية العام ١٩٨٢، تحقيق محمد فريد جحا ومحمود الفاخوري. وقد كتبت عدة رسائل ماجستير ودكتوراه عن ابن سينا وفكره، وما زالت الكتابة عنه مستمرة حتى يومنا هذا. بصرف من رسالة وفاة تقي الدين، المصطلحات العلمية في كتاب القانون لابن سينا، رسالة لنيل الماجستير، جامعة دمشق، كلية الآداب، تسم اللغة العربية وآدابها، نشرت في ١٩٩٨/٥/٢٨، ج: ١، ص: ١٩-٢٣. وقارن كذلك بموجز دائرة المعارف الإسلامية، ج: ١، ص: ٢٠١-٢٠٢.

(٢) البستاني، دائرة المعارف، ج: ١، ص: ٥٣٦.

(٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٧، ص: ٥٣٢.

(٤) لمزيد من المعلومات عن المفاصل الرئيسة لنظرة ابن سينا السياسية والاجتماعية، انظر المقالة المهمة لرضوان السيد، «ابن سينا المفكر السياسي والاجتماعي»، في كتاب ابن سينا، إصدار اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، (بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨١)، ص: ١٣١-١٥٥.

بالحاكم الفيلسوف كما أراد أفلاطون في جمهوريته^(٥).

ب - مولده ووفاته

أصل والده من بلخ، وولد في قرية من قرى بخارى اسمها: أفشته^(٦)، وهي قرب قرية خرْمِيشن التي عمل فيها أبوه. وكان مولده العام (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، ولم يتزوج أو يعقب ذرية. وتوفي في همدان يوم الجمعة من شهر رمضان بتاريخ ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م^(٧).

(٥) وفاء تقي الدين، المصطلحات العلمية في كتاب القانون لابن سينا، ج: ١، ص: ٢٦-٢٥.

(٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٤؛ وأحمد بن القاسم الخزرجي، ابن أبي أصيمة، عيون الأنبياء في الأطباء، نشره August Muller، وأعيد طبعه في القاهرة ١٢٩٩هـ، معهد تاريخ العلوم، (فرانكفورت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥)، ج: ٢، ص: ٢٠. وانظر كذلك في A.M. Goichon, art. «Ibn Sina», in *Encyclopaedia of Islam*, Vol. III, p. 941.

(٧) تتفق معظم المصادر في ذكر تاريخ وفاة ابن سينا على أنه كان في ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، وأما تاريخ ولادته فكانت العام ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، ذكره البيهقي في تاريخ الحكماء، وتابعه على ذلك كل من ابن خلكان في الوفيات، والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن العماد في الشذرات، والبغدادي في خزائن الأدب، فكانت مدة حياته ثمانين وخمسين سنة وسبعة أشهر قمرية لا شمسية كما جاء عند البيهقي. أما ابن أبي أصيمة في عيون الأنبياء فقد ذكر أن تاريخ ولادته كان سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م، وتابعه على ذلك الذهبي حيث قال: «مات بهمدان... وله ثلاث وخمسون سنة»، وأما سبب هذا الوهم فقد أجله وفاء تقي الدين في رسالتها للماجستير بقولها: «زعمت البحث والتتبع يظهر أن هذا الرقم (٥٣) أخذ من عبارة البيهقي [في تاريخ الحكماء]: «وكان عمر الشيخ (نح) سنة من السنين الشمسية مع كسر، فالحرف (ن) يقابل في حساب الجمل الرقم ٥٠ والحرف (ح) يقابل الرقم ٨، ولكن بعض من يجهل هذا الاستخدام الحسابي لحروف أبجد من التناخ أو المترجمين قد يظن حرف الحاء جيماً أقول من يجهل... وما أن قيمة حرف الجيم ٣ فيصبح عمر الشيخ عند وفاته ٥٣ بدلاً عن ٥٨ ومن هنا ينشأ الخطأ في سنة ولادته». وفاء تقي الدين، المصطلحات العلمية، ج: ١، ص: ٣٠؛ وقارن الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٧، ص: ٥٣٤؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ج: ٣، ص: ٢٣٤؛ ومحمد عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، ص: ٣٢، الحاشية رقم ٤، ص: ٣٦ =

ج - مراحل حياته

عاش ابن سينا في الثلث الأخير من القرن الرابع والثلث الأول من القرن الخامس الهجريين، في فترة كثيرة الأحداث، متشابكة المؤثرات خصبة التاج، وأمضى حياته متقللاً بين بخارى وهمذان وأصبهان وغيرها من بلاد تركستان وخراسان وما وراء النهر، حيث تنازعت السيادة دول أربع هي دولة السامانيين ودولة ملوك خوارزم، ودولة الغزنويين، ودولة البويهيين، وهي دول استقلت بأمرها إثر ضعف السلطة المركزية لخلفاء بغداد^(٨).

ترعرع ابن سينا في بيت علم وسياسة حيث كان أبوه من العمال المتميزين في بخارى التي انتقل إليها من بلخ العام ٣٧٥هـ/٩٨٥م، وكذلك كان والده من دعاة الإسماعيلية من أتباع الحاكم العميدي^(٩). وقد اهتم أبوه بتعليمه اهتماماً بالغاً فعندما بلغ العاشرة من عمره كان قد أتقن علم القرآن العزيز، والأدب وحفظ أشياء من أصول الدين وحساب الهند والجبر والمقابلة^(١٠).

وبأن مدة طلبه العلم لم ينم ليلة واحدة بكاملها، بل كان يتبع الليل النهار^(١١) قراءة وحفظاً، وإذا أشكل عليه شيء دخل المسجد وصلى ركعتين حتى يجليه الله تعالى له. وإذا وصل إلى معرفة أو حل مشكلة تصدق بالمال الكثير كما حصل له عندما عثر على كتاب أبي نصر الفارابي أغراض ما بعد الطبيعة الذي بواسطته استطاع فهم كتاب أرسطو ما بعد

= الحاشية رقم ٥. أما جورج فنواتي فقد ذكر تاريخاً لولادته هو ٣٧٣هـ/٩٨٣م.

أنظر جورج شحاته فنواتي، مؤلفات ابن سينا، ص: ٢٠.

(٨) وفاء تنبي الدين، المصطلحات العلمية في كتاب القانون لابن سينا، ج: ١، ص:

٥.

(٩) الزركلي، الأعلام، ج: ٢، ص: ٢٤٢؛ والبستاني، دائرة المعارف، ج: ١، ص:

٢٠٢. لا يؤيد د. محمد عاطف العراقي أن ابن سينا كان إسماعيلياً لأنه لم يقبل

آراءهم كما تدل كبه على ذلك. محمد عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن

سينا، ص: ٣٢، مع الحاشية رقم ٤.

(١٠) إين العماد الحنبلي، شلرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٤.

(١١) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٢٣٥.

الطبيعة *Aristotal's Metaphysics* (١٢).

فلم يستكمل من العمر ثماني عشرة سنة إلا وقد فرغ من تحصيل العلوم بأسرها واستحكم في علمها^(١٣) فلسفة وطباً على وجه الأخص. وأول مؤلف له كان كتاب المجموع وهو كتاب في مختلف العلوم عدا الرياضيات^(١٤) ألّفه في ريعان شبابه^(١٥). فقد توفّر لابن سينا من الذكاء الخارق والفهم الثاقب ما جعله يستوعب علوم عصره في سنّ مبكر، لذلك كان هذا الأمر مفتاحاً ليدخل عالم السياسة ويكون طبيياً ونديماً للسلاطين والأمراء. وبقي-فني بخارى حتى توفي والده وهو في الثانية والعشرين من عمره.

كان أول اتصال له بالسلاطين هو مع أمير خراسان نوح بن منصور الساماني الذي استدعى ابن سينا لطبّيه^(١٦). وفي العام ٣٩٢هـ/١٠٠٢م إثر سقوط عرش السامانيين^(١٧) في يدي أمير غزنة السلطان محمود بن سبكتكين فرّ من بخارى إلى كركانج (عاصمة خوارزم)، ثم أقام في جرجان العام ٤٠٣هـ/١٠١٢م، وطاف في البلاد وناظر العلماء وأتّمت شهرته ثم تقلّد الوزارة لشمس الدولة في همذان^(١٨).

كانت حياة ابن سينا في همذان تميّز بأنّها حافلة بالنشاط الفكري والاجتماعي والسياسي، حيث صنّف فيها كثيراً من مؤلّفاته المميّزة مثل الشفاء وجزءاً من القانون والهداية ورسالة حيّ بن يقظان وكتاب القولنج

(١٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ج: ٢، ص: ١٣؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٧، ص: ٥٣٢.

(١٣) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٧، ص: ٥٣٢.

(١٤) محمّد عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، ص: ٣٤.

(١٥) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج: ١٧، ص: ٥٣٢.

(١٦) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٥.

(١٧) حكم السامانيون سجستان وكرمان وجرجان وما وراء النهر وخراسان من العام ٢٦٠هـ وحتى ٣٨٩هـ. أنظر عليّ بن عبد الله الدفاع، روائع الحضارة العربية والإسلامية في العلوم، (الرياض، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، لا ت.)، ص: ٦٥.

(١٨) المرجع السابق نفسه.

وغيرها^(١٩). إستمرّ على هذا الحال إلى أن ثار عليه عسكر همذان ونببوا بيته فتوجّه إلى أصفهان وأكمل تصنيف كتبه هناك مثل النجاة وكتاب العلاني وكتاب الإنصاف^(٢٠).

ثم مرض ابن سينا مرضًا شديدًا يذكر المترجمون أنّ سببه الإسراف في شهوات الأكل والشراب والجماع، فتصد همذان مع علاء الدولة فأخذه القولنج ثم حصل له الصرع وسقطت قوّته فأهمل العلاج وقال: المدبّر الذي في بدني قد عجز عن تديره فلا تضعني المعالجة ثم اغتسل رتاب وتصلّق بما معه على الفقراء وردّ المظالم على من عرفه وأعتق ممالিকে وجعل يختم في كلّ ثلاثة أيّام ختمة ثمّ مات رحمه الله ودفن في همذان^(٢١).

ويموتة انطوت صفحة فيلسوف عظيم من فلاسفة الإسلام الذين ملؤوا الدنيا بعلمهم فماتت أجسادهم ولكن آثارهم بقيت بعدهم حيّة. فقد استوعبت مؤلفاته نتاج وثمار الثقافة المصرية والفارسيّة واليونانيّة في عصره، وقدّم إلينا مادّة غزيرة في كلّ مجال من مجالات المعرفة الإنسانيّة بدرجة تحار أمامها العقول فلا يذكر اسم ابن سينا إلّا وتذكر معه العبقرية في الفلسفة والتبوغ في الطب^(٢٢). ولقد كان ابن سينا حقًا كما لقّب الشيخ الرئيس والمهّم الثالث (أرسطو المعلم الأوّل، والفارابي المعلم الثاني)، وجالينوس العرب، وأمير الأطباء^(٢٣).

د - شيوخه

درس المنطق والفنسنفة والهندسة وعلم النجوم على يد أستاذه أبي عبدالله الناطلي^(٢٤)، ولما رأى الناطلي شدّة ذكائه حدّر والده من أن يشتغل ابن سينا

(١٩) محمّد عاطف المراقي، الفلسفة الطبيعيّة عند ابن سينا، ص: ٣٤.

(٢٠) المرجع السابق نفسه، ص: ٣٦.

(٢١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٦.

(٢٢) محمّد عاطف المراقي، الفلسفة الطبيعيّة عند ابن سينا، ص: ٣٧.

(٢٣) عليّ بن عبدالله الدقاق، روائع الحضارة العربيّة والإسلاميّة في العلوم، ص: ٦٦.

(٢٤) موجز دائرة المعارف الإسلاميّة، ج: ١، ص: ١٩٦.

بغير العلم^(٢٥). وقد فاق أستاذه في العلوم التي درسها عليه حتى إنه كان يحلّ له بعض المسائل التي عجز أستاذه عن فهمها. أمّا في الطبيعيات والإلهيات وعلم الطب فقد درسها وحده^(٢٦). وقد عمل في الطب «أدباً لا تكتسباً» وعلمه وفاق فيه على الأوائل والأواخر في أقلّ مدّة وأصبح فيه عديم القرين فريد المثل، واختلف إليه فضلاء هذا الفنّ يقرؤون عليه أنواعه والمعالجات المقتبسة من التجربة، وسنّه إذ ذلك ستّ عشرة سنة^(٢٧). أمّا الفقه فقد تلقّاه عن الشيخ إسماعيل الزاهد^(٢٨)، وقد اتّصل بكثير من العلماء أيّام حياته منهم: ابن مسكويه، وأبو الريحان البيروني، وأبو القاسم الكرماني وغيرهم.

هـ - طلابه

تلقّى عليه طلاب كثير منهم: الجوزجاني، وأبو الحسن بهمنيار بن المرزبان الأذربيجاني، وأبو منصور بن زيلا (زيلة)، والأمير أبا كاليبجار، وسليمان الدمشقي، وأبو عبدالله المعصومي، وكان يقول عنه ابن سينا: «هو منّي بمتزلة أرسطو من أفلاطون»^(٢٩).

و - مواقف العلماء والمترجمين من ابن سينا

كان في مخالفة ابن سينا لأسس العقيدة الإسلامية في القضايا الإلهية كصفات الله تعالى والحشر الجسماني وغيرها من قضايا، والتزامه بالفكر الأرسطي والأفلاطوني الذي يتعارض مع الإسلام معارضة واضحة، كان لهذا الالتزام ردّة فعل عنيفة من المسلمين، وانقسم المترجمون له ما بين مؤيّد ومعارض. وكان لفشله في التوفيق بين الدين والفلسفة نتيجة هدم الثقة بالفلسفة حتى قال ابن رشد: إنّ ابن سينا قد غير مذهب التوم في الإلهيات حتى صار ظنيّاً. كما أدّى اعتباره بعض الآيات رمزاً وإشارة إلى

(٢٥) ابن أبي أصيمة، عيون الأنباء، ج: ٢، ص: ٣.

(٢٦) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج: ١، ص: ١٩٦.

(٢٧) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٥.

(٢٨) ابن أبي أصيمة، عيون الأنباء، ج: ٢، ص: ٣.

(٢٩) موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج: ١، ص: ٢٠٣.

هدم الثقة بالقرآن كله^(٣٠)، فالغزالي كفره، وابن الصلاح قال عنه: «لم يكن من علماء الإسلام بل كان شيطاناً من شياطين الإنس»^(٣١). وسلك مسلك الغزالي وابن الصلاح في الطعن والذم والتضليل علماء كثر مثل: الذهبي وابن حجر وابن تيمية. وأما الذين مدحوه فمنهم: ابن خلكان، وابن تغري بردي، وابن أبي أصيبعة، والصفدي، والقفطي. أما حكمنا عليه فهو كما حكم الإمام بديع الزمان سعيد النورسي عليه وعلى أمثاله من الفلاسفة بقوله: «فإن فلاسفة الإسلام الدهاة الذين غرهم مظهر الفلسفة البراق فانساقوا إلى طريقها كابن سينا والفارابي لم ينالوا إلا أدنى درجة الإيمان، ودرجة المؤمن العادي، بل لم يمنحهم حجة الإسلام الإمام الغزالي حتى تلك الدرجة»^(٣٢). وبما أن ابن سينا تاب وندم آخر حياته وكان قصده - الذي لم يوفق إليه - تنزيه الله تعالى وتحقيق الكمال له، فلا يمكن الحكم عليه بالكفر^(٣٣).

وقد تأثر ابن سينا بمن قبله من الفلاسفة وأثر فيمن بعده. أما الذين تأثر بهم فمثل: أرسطو، وأفلاطون، وأفلوطين، وثابت بن قرّة، والكندي، والفارابي وغيرهم. وأثر ابن سينا بمن بعده كالغزالي والشهرستاني وأبي البركات البغدادي وابن طفيل وابن رشد وابن خلدون، وفخر الدين الرازي وألبرت الكبير وغيرهم كثير «فابن سينا قد ترك طابعه الدائم على الفلسفة وهذا الطابع هو ما لفت الأنظار إلى دراسة أفكاره والانتباه إلى

(٣٠) حمودة غرابية، ابن سينا بين الدين والفلسفة، (القاهرة: دار الطباعة والنشر الإسلامية)، ص: ٢١٠-٢١٤.

(٣١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٧.

(٣٢) سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، (القاهرة: دار سوزلر للنشر، ١٤١٢/١٩٩٢)، ص: ٦٤٥.

(٣٣) لابن سينا رباعية يروي فيها نفسه من الكفر يقول فيها:

كُفِرَ مثلي ليس سهلاً أن يُرْحَمَ أين من محكم إيماني أحكم
أوحيدُ الدمر مثلي كافرٌ فأذن لم يبق في العالم مسلم
أنظر سيد حسن نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة صلاح الصاوي ومراجعة ماجد فخري، (بيروت: دار النهار للنشر، ١٩٧١)، ص: ٥٦.

دحضها أو تأييدها، لذا فسيظلّ اسم هذا الفيلسوف يتردّد ما بقيت لفظة
فلسفة أو علم^(٣٤). وهذه الترجمة ترجمة مختصرة لحياة هذا الفيلسوف
العظيم الذي كان بحق أعجوبة الزمان وداية من دهاة الفلاسفة في
العالم.

(٣٤) محمّد عاطف المراتي، ابن سينا، ص: ٢٥-٢٦.

المبحث الثاني مؤلفات ابن سينا في التفسير

كان ابن سينا من الكتاب الموسوعيين أو من كتاب دوائر المعارف كالجاحظ، وإن كان يغلب على كتاباته الفلسفة بجميع فروعها المعروفة في زمانه، من إلهيات وطب ونفس ومنطق ورياضة وأخلاق وغير ذلك^(٣٥). ونظم الشعر الفلسفي الجيد ودرس اللغة مدة طويلة حتى باري كبار المنشئين^(٣٦). وقد نافت مؤلفات ابن سينا على المائتي مؤلف بناء على إحصاء بعض المؤلفين^(٣٧). وانتشرت كتبه في كل أنحاء الدنيا شرقاً وغرباً، وعول على تدريس كتبه الطبية في أوروبا لمدة ستة قرون خصوصاً كتابه القانون المعروف في الغرب باسم *Canon medicina*. ولعل ابن سينا بين فلاسنة الإسلام أكثرهم حظاً من البحث والدراسة، شغل به القدامى مؤيدين ومعارضين، وعني به المحدثون ناشرين ومعلقين، بيد أنه لا يكاد يذكر في شيء ما نشر من مؤلفاته نشرًا علميًا محققًا، وأغلب ما ظهر منها إنما نشر على عجل، أو على أيدي غير المختصين، ولا يزال جانبها الأكبر مخطوطاً أو في حاجة إلى نشر جديد^(٣٨). ومن هنا تأتي أهمية

(٣٥) المرجع السابق نفسه، تقديم أحمد بك أمين، ص: ٧، وقارن بابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج: ٣، ص: ٢٣٦.

(٣٦) الزركلي، الأعلام، ج: ٧، ص: ٢٤٢.

(٣٧) أنظر جورج شحاته فنواني، مؤلفات ابن سينا. أما سيد حسن نصر فيقول: «تدور مؤلفات ابن سينا التي بقي منها ٢٥٠ مؤلفاً تقريباً... على جميع المواضيع المعروفة في المنصور الوسطى تقريباً، وأغلب هذه التأليف بالمرية وإن كان بعضها بالفارسية مثل داشنامه علائي أي كتاب العلوم المهدى إلى علاء الدولة والذي يعد أول مؤلف فلسفي بالفارسية. وموسوعة الشفاء *Sufficientia* باللاتينية التي تُعتبر أطول موسوعة علمية كتبها إنسان بمفرده». سيد حسن نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ص: ٣٧.

(٣٨) جورج شحاته فنواني، مؤلفات ابن سينا، تقديم د. إبراهيم بك مذكور، ص: ٩٧.

دراسة وتحقيق هذا المخطوط في التفسير. إذ قلما يُعرف أن لابن سينا تفسيرا. وسأقتصر في هذا البحث على ذكر كتبه في التفسير فقط مع الإشارة إلى أهم الأماكن والمكتبات التي توجد فيها هذه المخطوطات. أما كتبه الأخرى في العلوم المتعددة فقد أفرد لها المؤلفون كتابا خاصة أحيل القارئ عليها. ومن أهم من كتب عنها متداد بالجن^(٣٩)، وجورج قنواتي.

أولا - مؤلفات ابن سينا المخطوطة في التفسير

١ - تفسير آية الدخان (فصلت)^(٤٠)

أورده قنواتي باسم: تفسير سورة ثم استوى إلى السماء وهي دخان^(٤١). أوله: إشارة بالدخان إلى مائة السماء فإن الدخان جوهر ظلماني والمادة منبع الظلمة.

آخره: إشارة إلى العقول المفارقة التي هي محرّكاتها على سبيل التشويق والله أعلم بحقائق الأشياء^(٤٢).

أما كارل بروكلمان فقد ذكره باسم: تفسير آية الدخان^(٤٣). وللإختصار نقتصر هنا على ذكر ثلاثة أماكن يوجد فيها هذا المخطوط ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى الفهارس التي ذكرناها سابقا عن مؤلفات ابن سينا.

أ - الآصفية ٣ [٧٣٠] - بروك (م) ١ / ٨١٤.

ب - راغب باشا ١٤٠ [١٤٦٩ / مجموع].

ج - رامبوا/ ٢٨٢ [541 at-Tafsir (B) 8261 M]^(٤٤).

(٣٩) متداد بالجن، مؤلفات ابن سينا المخطوطة في تركيا.

(٤٠) مؤسّسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (التفسير)، (عمان، ١٩)، ط ١، ج: ١، ص: ٨٩.

(٤١) جورج شحانة قنواتي، مؤلفات ابن سينا، ص: ٢٦١.

(٤٢) المرجع السابق نفسه.

(٤٣) C. Brockelmann, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Vol. 1, (Lieden: Brill, 1937), p. 814.

(٤٤) مؤسّسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (التفسير)، ج: ١، ص: ٨٩؛ وجورج شحانة قنواتي، مؤلفات ابن سينا، ص: ٢٦١-٢٦٢؛ ر.

Brockelmann, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Vol. 1, p. 814.

- ٢ - تفسير سورة الأعلى
 أ - الوزيري ٤/ ١٢٦٩ - ١٢٧٠ [١١/ ١١١٣٨] - (١١٥-١١٧) و) ضمن
 مجموع - ١٥٥٧/هـ - ٩٦٥ م.
 ب - الأكاديمية الأوزبكية ٥/ ٣٦٤ [xxx / ٢٣٨٥] (١١٤) ب) ضمن
 مجموع ١٠٧٥ هـ.
 ج - رضا [النصل ٣-٦٢] - ٢٨ و) (ضمن مجموع) - (بروك (م) ١/
 (٨١٤) (٤٥).
 د - مشهد ٣/ ٢٢ (٦٦) سورة رقم ٧٨ (٤٦).
 ٣ - تفسير سورة الفاتحة
 متحف مولانا (المورد ٩ (١٩٨٠) ٣/ ٢٦٩) [مجموع ٢٤٢/ ١٣] - (٨٧)
 ب - (١٨٠) ١٤٦٦/هـ - ١٤٦١ (٤٧).
 ٤ - تفسير آية الربا (البقرة ٢٧٥)
 رامبور ١/ ٢٨٤ [541 at-Tafsir (B) 8991 M] - (٦٦ - ٩٦) ب) ضمن مجموع
 ق ١٠/هـ - ٦٣١ م (٤٨).
 ٥ - الرسالة النيروزيّة في حرف أبجد - (رسالة في أسرار الحروف التي في
 أوائل السور القرآنيّة):
 أ - الأكاديمية الأوزبكية ٥/ ٣٦٧ [xv / ٢٣٨٥] - (٤٨ ب ٤٩) ضم
 مجموع - ١٠٧٥ هـ/ ١٦٦٤ م (٤٩).

(٤٥) لمزيد من التفصيل انظر: مؤسسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (التفسير)،
 ج: ١، ص: ٩٠-٩١.

(٤٦) جورج شحاته قنراتي، مؤلفات ابن سينا، ص: ٢٦٤ رقم ٢٠٩، ويوجد في مركز
 جامعة الماجد في دبي صورة عن هذه المخطوطة مصوّرة من كتابخانه مرعشي برقم
 ٣١٤/١، وأما رقم المايكرو فيلم في المركز فهو: ٣٧١١؛ رانظر C Brockelmann,
Geschichte Der Arabischen Litteratur, Vol. 1, p. 814.

(٤٧) مؤسسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (التفسير)، ج: ١، ص: ٩١.

(٤٨) المرجع السابق نفسه، ص: ٨٩.

(٤٩) المرجع السابق نفسه، ص: ٩١.

- ٦ - تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين
وردت أسماء مخطوطات تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين في فهارس
المخطوطات على النحو التالي:
- ١- تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين. ٢ - تفسير المعوذتين. ٣ -
تفسير سورة الإخلاص. ٤ - تفسير سورة التوحيد. ٥ - تفسير سورة
القلق. ٦ - تفسير سورة الناس.
- سأكتفي هنا بالإشارة إلى بعض أهم الأماكن التي توجد فيها كل من سورة
الإخلاص والمعوذتين مع الإحالة على الفهارس المفصلة لمن يريد
الاستزادة في المعلومات عنها.
- أ - تشتر بيتي ١٧/١ - ١٨ [3045 (11)] - (٥٨ب - ١٦٢) (١٦٩٩هـ/
١٢٩٩م). ومن هذه النسخة صورة بالمايكروفيلم في مكتبة جمعة
الماجد في دبي ورقمه ٧٩٥. وهي النسخة الأصلية التي اعتمدها
في التحقيق. ورمز إليها في التحقيق بـ: الأصل.
- ب - فهرست كتابخانه مرعشي ١/٢٤٣، وعن هذه النسخة صورة
بالمايكروفيلم في مكتبة جمعة الماجد في دبي ورقمه ٣٧١١. رمز
إليها في التحقيق بـ: م.
- ج - جامعة برنستون (مخطوطات جديدة) ٣١٧ - ٣١٨ [1406-2 (1537)]
- (١١٢) (أب) ق ٩هـ/٦٣٠م.
- د - المكتب الهندي ١/٢ - ١٤ - ١٥ [1234 (1079)] - (٥٥ - ١٦٣) ضمن
مجموع - ١١٧٣هـ - ١١٧٩هـ/١٧٥٩م - ١٧٦٥م - ورد بعنوان
تفسير سورة التوحيد والمعوذتين^(٥٠).
- وقد طبع كل من تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين في دلهي العام

(٥٠) لمزيد من المعلومات المفصلة انظر: جورج شحاتة قنواي، مؤلفات ابن سينا، ص:
٢٦١-٢٦٢؛ C. Brockelmann, *Geschichte Der Arabischen Litteratur*, Vol. 1, و، pp 812-14.
وقد أحصت مؤسسة آل البيت في الفهرس الشامل ٤٢ مخطوطة نكل
من تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين، انظر مؤسسة آل البيت في الأردن، الفهرس
الشامل، (التفسير)، ج: ١، ص: ٨٩-٩٢.

١٣١١هـ/١٨٩٣م، وفي القاهرة، مطبعة السعادة العام ١٣٣٥هـ/
١٩١٧م^(٥١).

ثانيًا - إعتناء العلماء بتفسير سورة الإخلاص لابن سينا

لقي تفسير ابن سينا عناية من العلماء، فكانت له شروح عدّة وهي:

١- تفسير سورة الإخلاص: للعلامة جلال الدين محمّد بن أسعد الصديقي الدواني (ت ٩١٨هـ/١٥١٢م)، وهو شرح لتفسير سورة الإخلاص لابن سينا^(٥٢).

٢- شرح تفسير سورة الإخلاص: لمحمّد بن محمّد بن مصطفى أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت ١١٧٦هـ/١٧٦٢م). يوجد منها نسخة في جامعة برنستون (يهودا ٤٠ (٤٣٢) الرقم 2329). ومنها نسخة مايكروفيلم في مركز جمعة الماجد في دبي ورقمه: ٣٦٥١^(٥٣).

٣- حاشية على تفسير سورة الإخلاص لابن سينا: لأحمد الشهير بالدباني. منها نسخة بمكتبة الحرم المكي تحت رقم ١٢ دهلوي، وهي في ١٢٢ ورقة، ٢١ سطراً، ١٥٨٢١ اسم^(٥٤).

٤- تفسير سورتي الإخلاص والقلق لابن سينا مع الترجمة والحواشي الفاتحة السنية البهية باللغتين العربية والأردية: للعالم أبي القاسم محمّد بن عبد الرحمن. وهو مدرّس بالمدرسة الدهلوية الموسومة بقاسم العلوم.

أ- طبع العام ١٣١١هـ/١٨٩٣م في دهلي، مطبعة شمس المطابع وهو

(٥١) جورج شحاتة فتاوي، مؤلفات ابن سينا، ص: ٢٦٤، ٢٦٦-٢٦٧؛ وعلي شراخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، (الرياض: منشورات دار الرفاعي، ١٩٨٤/١٤٠٤)، ج: ٣، ص: ٦٠.

(٥٢) مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٨٢/١٤٠٢)، ج: ١، ص: ٤٥٠-٤٥١؛ ومؤسسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (التفسير)، ج: ١، ص: ٥٤٥.

(٥٣) المرجع السابق نفسه، ج: ١، ص: ٩٠، وراجع بطاقات المخطوطات في مركز جمعة الماجد في دبي.

(٥٤) علي شراخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، ج: ٣، ص: ٦٠.

في ٩٦ صفحة. ومن هذه الطبعة نسخة في مكتبة بايزيد في تركيا ورقمها: ١٠٥٠٣٩ وقد حصلت على صورة لهذه الطبعة من هذه المكتبة.

ب - يوجد نسخة أخرى في مكتبة بيت القرآن الكريم في لاهور برقم 297.162-551^(٥٥).

٥- تفسير سورة الإخلاص مع المتن العربي: وهو ترجمة بالأردية لتفسير ابن سينا. طبع في دلهي العام ١٩٠٥، مطبعة مجتباتي^(٥٦).

ومن المناسب أن تذكر الآن اعتناء العلماء بتفسير سورة الإخلاص.

ج - العلماء الذين ألفوا في تفسير سورة الإخلاص

قد أفرد العلماء تصانيف خاصة في تفسير سورة الإخلاص، وذلك لأنها تعدل ثلث القرآن لما تحويه من معان عظيمة في توحيد الله تعالى. وقد كانت تأليفهم إما مستقلة عن أي سورة، وإما متصلة بسورة الفاتحة، وإما بسورتي الفلق والناس. ومن هذه التأليف:

١- تفسير سورة الإخلاص: لابن الدهان سعيد بن مبارك النحوي (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م)^(٥٧).

٢- تفسير الفاتحة وتفسير سورة الإخلاص: للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م).

وهي مخطوطة ومعها تفاسير سور أخرى محفوظة في مكتبة جامعة الملك سعود برقم ٢١٧٦/٤م/ (٤٧-٥٩)^(٥٨).

٣- تفسير سورة الإخلاص: لأحمد بن تيمية (٧٢٨هـ/١٣٢٧م).

Ismet Binark and Halit Eren, *World Bibliography of Translations of the Meanings of the Holy Qur'an, Printed Translations 1515-1980*, ed. Ekmeleddin Ihsanoglu, (Istanbul: Research Center for Islamic History, Art and Culture, 1406/1986), pp. 641-642.

Ibid., p. 677. (٥٦)

(٥٧) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج: ١، ص: ٤٤٩.

(٥٨) المرجع السابق نفسه، وانظر علي شراخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، ج: ٣، ص: ٢٢.

تصحیح محمد بدر الدین الفسانی، القاهرة، المطبعة الحسينية
١٣٢٣هـ/١٩٠٤م. ويتصحیح طه يوسف شاهين، مطبعة السنة
المحمدية، ١٩٦٩^(٥٩).

٤- الكلام على سورة الإخلاص: لزين الدين أبي الفتوح عبد الرحمن بن
أحمد بن رجب الحنبلي، الشهير بابن رجب (ت ٧٩٥هـ/١٣٩٢م).
وهي مخطوطة محفوظة بمكتبة الآثار العامة ببغداد تحت الرقم:
٣٦٥١١^(٦٠).

٥- تفسير سورة الإخلاص: لمحمد بن محمد بن مرزوق التلمساني، أبو
عبدالله المعروف بالحفيد (ت ٨٤٢هـ/١٤٣٨م)^(٦١).

٦- المعتمد في تفسير قل هو الله أحد: للأرميني يوسف بن عبدالله بن
سعيد الحسيني المصري الشافعي جمال الدين، (ت ٩٥٨هـ/
١٥٥٥م)^(٦٢).

٧- تفسير سورة الإخلاص: لعبد النافع بن عمر الحموي
(ت ١٠١٦هـ)^(٦٣).

٨- تفسير سورة الإخلاص: لمحمد طاهر بن محمد مكي الرومي القاضي
الحنفي (ت ١١٢٨هـ/١٧١٥م)^(٦٤).

٩- تفسير سورة الإخلاص: لوفى الدين بن خليل البكائي (ت ١١٨٣هـ/
١٧٦٩م)^(٦٥).

١٠- تفسير سورة الإخلاص بالتركية: لعيسى بن أحمد بن ميكائيل
الخوشناوي السهرناني الشافعي (ت ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م)^(٦٦).

(٥٩) إيتام مرمرن الصفار، معجم الدراسات القرآنية، (بنداد: مطابع جامعة الموصل،
١٩٨٤)، ص: ١٤٦.

(٦٠) علي شواخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، ج: ٣، ص: ١٣٨.

(٦١) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٢٦.

(٦٢) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ١٥٥.

(٦٣) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٢٦.

(٦٤) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٣٣.

(٦٥) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٣٤.

(٦٦) المرجع السابق نفسه.

- ١١- رحمت خاصّ تفسير سورة الإخلاص: لمحمد حسن خان فقير. وهو تفسير بالأردية ومؤلف من ١٢ صفحة. طبع في دلهي ١٣٠٩هـ/١٨٩١م.
- ١٢- تفسير سورة الإخلاص: لعبد الرحمن خضر، طبع في مطبعة النجاح، ١٣٢١هـ/١٩٠٢م^(٦٧).
- ١٣- سورة الإخلاص: لأمين أحسن إصلاحي، تحقّق أعظم كره، المكتبة الحامدية، ١٩١٤، وهو باللغتين العربية والأردية وترجمة لتفسير حامد الدين الفراحي السابق^(٦٨).
- ١٤- تفسير سورتي الإخلاص والعلق: لشيخ الإسلام موسى كاظم. وهو تفسير باللغة التركية العثمانية، مؤلف من ١٦ صفحة، طبع في إستانبول ١٣٣٤هـ/١٩١٨م، مطبوعات الأوقاف الإسلامية^(٦٩).
- ١٥- تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين: لغلام رباني، وهو ترجمة إلى الأردية لتفسير سورة الإخلاص والمعوذتين لابن تيمية السابق، وهو مؤلف من ٣٧٢ صفحة. وطبع في لاهور ١٣٤٤هـ/١٩٢٥ في مطبعة: Islamic Steam Press^(٧٠).
- ١٦- تفسير سورة الإخلاص: لحامد الدين الفراحي، تحقّق أحمد كره، مطبعة المعارف ١٩٣١. وهو مؤلف من ٣٨ صفحة. وهو تفسير مفصل لسورة الإخلاص بالثلاثة العربية و مترجم للغة الأردية ومنه نسخة في مكتبة بيت القرآن في لاهور ورقمها (297.162-1330)^(٧١).
- ١٧- تفسير سورة الإخلاص: لحسن علي مالك. نشر في لاهور ١٩٣٩، دار المسلم للطباعة والنشر، باللغتين العربية والأردية^(٧٢).

(٦٧) إيتام مرهون الصفار، معجم الدراسات القرآنية، ص: ١٤٧.

(٦٨) Ismet Binark and Halit Eren, *World Bibliography of Translations of the Meanings of the Holy Qur'an, Printed Translations 1515-1980*, p. 615.

Ibid., p. 502. (٦٩)

Ibid., p. 629. (٧٠)

Ibid., p. 630. (٧١)

Ibid., pp. 630-631. (٧٢)

- ١٨- تفسير سورة الإخلاص: لمحمد نمر الخطيب. طبع في بغداد في مطبعة النجاح، ١٩٥٢^(٧٣).
- ١٩- تفسير سورة الإخلاص: لعلي بن محسن الحسني السمناني^(٧٤).
- ٢٠- الإخلاصية: للشيخ زاده، وهي حاشية على تفسير سورة الإخلاص السابقة للسمناني^(٧٥).
- ٢١- تفسير سورة الإخلاص: لعبد السلام بن الطيب الفاسي^(٧٦).
- ٢٢- تفسير سورة الإخلاص: لرجب بن محمد الحلبي الشيعي^(٧٧).
- ٢٣- تفسير سورة الإخلاص: لأحمد بن زين الدين الإحساني الشيعي^(٧٨).
- ٢٤- تفسير سورة الإخلاص: لمحمد بن عبد الرحمن بن زكريا. وهي مخطوطة في مكتبة الخزانة العامة بالرباط تحت الرقم: ٢٢١٦ ج^(٧٩).
- ٢٥- معترك الخلاص في تفسير سورة الإخلاص: للراعي القلقشندي محمد حجازي^(٨٠).

(٧٣) إيسام مرهون الصنار، معجم الدراسات القرآنية، ص: ١٤٧.

(٧٤) حاجي خليفة، كشف الظنون، ج: ١، ص: ٤٤٩.

(٧٥) المرجع السابق نفسه.

(٧٦) علي شواخ إسحاق، معجم مصنفات القرآن الكريم، ج: ٣، ص: ٤١.

(٧٧) المرجع السابق نفسه.

(٧٨) المرجع السابق نفسه.

(٧٩) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ٤٣.

(٨٠) المرجع السابق نفسه، ج: ٣، ص: ١٥٤.

المبحث الثالث

صحة نسبة هذا التفسير إلى ابن سينا
ووصف المخطوطات والنسخ التي حصلت عليها
المعتمدة في التحقيق، وغير المعتمدة

أولاً: صحة نسبة هذا التفسير إلى ابن سينا
أما ثبوت نسبه إليه من حيث المضمون فلا خلاف عليه، لأنه متفق في
مضمونه مع كل آرائه الفلسفية التي نشرها في المبحث الرابع، وأما من
حيث ذكر المترجمين له فإن الترجمات القديمة لم تذكر معظم مؤلفاته في
التفسير ولم تذكر هذا التفسير ضمن مؤلفاته، أما الفهارس الحديثة فقد
ذكرت هذا التفسير من مؤلفاته مع مؤلفات أخرى، وقد اتفقت كل النسخ
التي حصلت عليها على ذكر ابن سينا مؤلفاً لهذا التفسير. وهذا يؤكد نسبة
هذا التفسير إليه. وهناك نسخ عديدة لتفسير سورة الإخلاص للشيخ الرئيس
ابن سينا أوصلها الفهرس الشامل إلى ٣٩ نسخة متشرة في مختلف
مكتبات العالم^(٨١). ولم أتمكن من الحصول إلا على خمس منها - نفي
ياخراج المخطوط محققاً - وهي:

ثانياً: وصف المخطوطات

١ - النسخة الأولى:

وهي موجودة في دبلن في مكتبة تشستر بيتي ١٧/١-١٨ [(11) 3045] -
(٥٨ب - ١٦٢) ٦٩٩هـ/١٢٩٩م. وعن هذه النسخة صورة بالمايكروفيلم
في مركز جمعة الماجد في دبي ورقمه ٧٩٥. وهي النسخة الأصلية التي
اعتمدها في التحقيق. ورمز إليها في التحقيق ب: الأصل.

وصف المخطوطة

١- العنوان: تفسير سورة الإخلاص.

(٨١) مؤسسة آل البيت في الأردن، الفهرس الشامل، (الضيق)، ج: ١، ص: ٨٩-٩٠.

- ٢- المؤلف: للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبدالله بن سينا، قدس الله نفسه.
- ٣- النسخ: وجدت هذه العبارة في آخر المخطوطة: (كتبه الراجي لما رحمة ربه) من غير ذكر الاسم.
- ٤- تاريخ النسخ: سنة تسع وتسعين وستمائة هجرية، وتعاادل بالميلادية سنة ١٢٩٩.
- ٥- الخط: نسخي.
- ٦- الأوراق: ٥ [٥٤/ب-٥٨/أ].
- ٧- الأسطر: ١٩.
- ٨- المقاس: ١٦,٥ × ٨,٥ سم.
- ٩- البداية: قل هو الله أحد الهو المطلق...
- ١٠- النهاية: فهذا ما وقفت عليه أسرار هذه السورة. تمت الرسالة والحمد لله لوأهب العقل ومبدع الكل، والصلوة على خير الرسل.
- ١١- السماعات والإجازات والمقابلات: يبدو أن هذه النسخة قد قوبلت بنسخة أخرى، ومما يدل على ذلك عبارة (بلغ) الموجودة في حواش الصفحات التالية: ١٥٨، ١٦١، وفي ص: ١٦٢ وهي آخر صفحة من تفسير المعوذتين التي تلي مباشرة تفسير هذه السورة، نجد العبارة التالية: «قوبل والله الحمد».
- ١٢- الحواشي: تدل الحواشي العديدة في هذه النسخة على أن النسخة قد قوبلت بنسخة أخرى، إذ إن هذه الحواشي استدراقات لسقوط في كلمة أو جملة أو جمل عديدة. وعادة ما يشير الناسخ إلى هذا السقط في داخل النص بوضع علامة تشبه الرقم (٧)، ثم يكرر العلامة في الحاشية ويذكر الشيء الذي سقط من النص، وعند انتهائه من ذكر الحاشية الطويلة يضع كلمة: (صح). ولا تكاد تخلو صفحة من هذه الحواشي ما عدا الصفحتين الأولى والأخيرة من المخطوطة. وبعض هذه الحواشي صعب القراءة لعدم وضوح الخط فيه.

- ١٣ - الرمز المستخدمة: يستخدم الناسخ أحياناً إشارة الدائرة التي في داخلها نقطة ① للفصل بين الموضوعات كما في ص: ١٥٥.
- ١٤ - طريقة رسم الحروف (الإملاء):
- أ - كتابة الألفات: يضع أحياناً فوق الألف الممدودة داخل الكلمة إحدى العلامتين التاليتين:
- ١ - ~ مثل كلمة: الله ص: ٥٤ ب.
- ٢ - (ا) علامة المدّ الصغيرة مثل كلمة الإله ص: ٥٤ ب.
- ب - الهمزة: لم تثبت الهمزة في أول الكلمة ووسطها في معظم الأحيان، فمثلاً كتبت كلمة: ازيد وكلمة: اودعه في ص: ١٥٦ بدون همزة على الألف.
- وأما الهمزة في وسط الكلمة والتي أصلها ياء فقد أثبتت ياء وسهلت مثل كلمة: لطايف ص: ٥٥ أو كلمة: استغنايه، ص: ٧٥ ب. وتثبت في بعض الأحيان الهمزة مع الباء مثل كلمة أجزاءه ص: ٧٥ ب.
- وأما الهمزة آخر الكلمة فقد أثبتت في معظم الأحيان مثل كلمة: شيء ص: ١٦٥، إلا أنها حذفت أحياناً كما في كلمة مبادي ص: ١٥٥، وكلمة فسواً ص: ٥٤ ب.
- ج - كتبت الكاف التي في آخر الكلمة على الشكل التالي: كذلك، ومثل كلمة: التشكيك.
- د - التنقيط: أثبت التنقيط في معظم الحروف المنقطة، وإن كان حذف من أماكن عديدة بحيث ترى كلمة كاملة غير منقطة مثل كلمة: يكون ص: ١٨٥ والتي لم تنقَط أبداً^(٨٢).
- إعتمدتُ في تحقيق هذا النصّ على هذه النسخة للأسباب التالية:

(٨٢) إعتدتُ في وصف المخطوط على المراجع التالية: Arther Arberry, *The Chester Beatty Library, A Handlist of the Arabic Manuscripts*, (Dublin: Emer Walker (Irland) Ltd., 1955), pp. 17-18; رمزسة آل البيت في الأردنّ، الفهرس الشامل، (التفسير)، ج: ١، ص: ٨٩، وبطاقات المخطوطات في مكتبة مركز جمعة الماجد في دبي.

أولاً: إنها أقدم النسخ، حيث كتبت العام ٦٩٩هـ/١٢٩٩م.
ثانياً: إنها قولت بنسخ أخرى كما تبين من النص، وهذا الأمر يزيد النص
دقة وصحة.

ثالثاً: إنها أوضح النسخ خطأ، وأقلها أخطاءً.

٢ - النسخة الثانية

وهي موجودة في إيران، فهرست كتابخانه مرعشي ٢٤٣/١، وعن هذه
النسخة صورة بالمايكروفيلم في مركز جمعة الماجد في دبي ورقمه
٣٧١١. ورمز إلى هذه المخطوطة في التحقيق بـ: م.

وصف المخطوطة

- ١- العنوان: تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين:
- ٢- المؤلف: للشيخ الرئيس قدوة الحكماء أبي علي حسين بن عبدالله بن
سينا، رحمة الله تعالى عليه.
- ٣- الناسخ: مصطفى.
- ٤- تاريخ النسخ: لا تاريخ.
- ٥- الخط: نسخ.
- ٦- الأوراق: ٥ [١/ب-٥/أ].
- ٧- الأسطر: ٢٣.
- ٨- المقاس: ٢٣ × ١٤,٥ سم.
- ٩- البداية: قوله جلّ جلاله قل هو الله الهو المطلق.
- ١٠- النهاية: فهذا ما وقفت عليه من أسرار هذه السورة. والله تعالى
أعلم بحقيقة معانيه اللطيفة.
- ١١- طريقة رسم الحروف (الإملاء):
أ - الهمزة: لم تثبت الهمزة في أول الكلمة ووسطها في معظم
الأحيان، فمثلاً كتبت كلمة: ان في ص: ٣ب، وكلمة احد في
ص: ٤أ بدون همزة على الألف.
وأمّا الهمزة في وسط الكلمة والتي أصلها ياء فقد أثبتت ياء وسهلت مثل
كلمة: حقايق ص: ٤ب، وكلمة: اللايقة ص: ٣ب. وأمّا الهمزة آخر

- الكلمة فقد أثبتت في معظم الأحيان مثل كلمة: الإيماء ص: ١٥ .
- ب - يلاحظ في هذه النسخة كثرة الأخطاء اللغوية والإملائية، وكثرة السقط، ولهذا لم تعتمد أصلاً .
- ج - يلاحظ أن الناسخ يكرّر دائماً آخر كلمة في الصفحات المتقابلة، يكرّرها في أول الصفحة المقابلة .

٣ - النسخة الثالثة

- وهي موجودة في تركيا في المكتبة السليمانية في قسم بغدادلي وهبة أفندي، ورقمها: 143/1^(٨٣) . وهذه النسخة ضمن مجموعة من رسائل لابن سينا وهي: ١ - رسالة في فضائل الشراب وسياسة البدن . ٢ - رسالة في الحزن . ٣ - رسالة في دفع الغم . وقد مرّث إلى هذه النسخة في التحقيق :- س .

وصف المخطوطة

- ١- العنوان: تفسير الإخلاص والمعوذتين .
- ٢- المؤلف: تاليف الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، رحمه الله .
- ٣- الناسخ: السيد عبيدالله المعروف بهاشم .
- ٤- تاريخ النسخ: أواسط ذي الحجة العام ١١٦٤هـ / ١٧٥٠م .
- ٥- الخط: فارسي .
- ٦- الأوراق: ٤ [١/ب-٤/ب] .
- ٧- الأسطر: ١٩ متوسط .
- ٨- المقاس: ٢١,٥ × ١٦ .
- ٩- البداية: هذه رسالة مشتملة على تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين .
- ١٠- النهاية: فهذا ما وقفت عليه من أسرار هذه السورة . والله تعالى أعلم .

(٨٣) إطلعت على هذه النسخة رحلتُ على صورة منها عندما زرت تركيا في ١٦/٩/١٩٩٠ .

- ١١ - التملكات: يوجد على صفحة العنوان تملكان:
- أ - من كتب السيّد مصطفى مسعود رئيس الأطباء حضرت سلطاني غفر لهما ١٢٢٦هـ/ ١٨١٠م.
- ب - دخل في ملك الفقير إبراهيم فخر الدين بن عبدالله التميمي الداري ١٣١٨هـ/ ١٩٠٠م.
- ويوجد على صفحة العنوان ختم دائريّ كتب فيه: أوقف هذا الكتاب وحبى بن عبد المعيد الدوري.
- ١٢ - الحواشي: يوجد حواشي قليلة، وهي استدراقات لسقوط في كلمة أو جملة أو جمل عديدة. وعادة ما يشير الناسخ إلى هذا السقط في داخل النصّ بوضع علامة ثلاث نقاط بشكل مثلث. كما في ص: ١٣ و٤ب.
- ١٣ - طريقة رسم الحروف (الإملاء):
- أ - الهمزة: لم تثبت الهمزة في أوّل الكلمة ووسطها في معظم الأحيان.
- وأما الهمزة في وسط الكلمة والتي أصلها ياء فقد أثبتت ياء وسهلت مثل كلمة: علايق، وكلمة: الاستيناس.
- وأما الهمزة آخر الكلمة فلم تثبت في معظم الأحيان مثل كلمة: الشبي، إلاّ أنّها أثبتت أحياناً كما في كلمة الدواء ص: ١٣.
- ت - يحذف الناسخ أحياناً جزءاً من حرف الكاف أوّل الكلمة ووسطها مثل كلمة: كلّ ما كان ص: ٣ب.
- ث - يكتب الناسخ النون غالباً في آخر الكلمة مثل كتابته لحرف الراء ومن غير تنقيط.
- ج - تميّز هذه النسخة بأنّ التنقيط فيها نادر.
- د - يلاحظ أنّ الناسخ يكرّر دائماً آخر كلمة في الصفحات المتقابلة، يكرّرها في أوّل الصفحة المقابلة.
- ٤ - النسخة الرابعة
- وهي موجودة في أمريكا في مكتبة جامعة برنستون (يهودا) ٤/(٤٣٢)

ورقمها: 3329. وعن هذه النسخة صورة بالمايكروفيلم في مكتبة جمعة
الماجد في دبي ورقمه ٣٦٥١. وهي شرح لتفسير سورة الإخلاص لابن
سينا. ولم تُعتمد في التحقيق.

وصف المخطوطة:

- ١- العنوان: شرح تفسير سورة الإخلاص [لابن سينا].
- ٢- المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى أبو سعيد الخادمي الحنفي ت
١١٧٦هـ/١٧٦٢م.
- ٣- الخط: تعليق
- ٤- الأوراق: ١١ ق [١٠٢ب/١١٠ب].
- ٥- الأسطر: ٢١ مترسط.
- ٦- المقاس: ٢٢ × ١٦,٥.
- ٧- البداية: الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كنوا أحد، والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله من الأزل إلى
الأبد وبعد...
- ٨- النهاية: هذا آخر ما أوردنا بالارتجال لما اقتضى الحال الارتجال
بعون الملك المتعال وإليه المرجع والمآل.
- ٩- الحواشي: يوجد بعض الحواشي التي هي زياد في شرح النص.
- ١٠- الرموز المستخدمة: يضع الناسخ خطأ فوق متن ابن سينا ليميزه عن
شرحه. ولم يورد متن ابن سينا كله، بل اختار منه ما يريد شرحه
فقط. ولهذا السبب لم أعتمد على هذه النسخة في المقارنة.
- ١١- طريقة رسم الحروف (الإملاء):
أ - كتابة الألفات: الهمزة: يسقط الناسخ غالبًا الهمزة أول الكلمة،
ويثبتها في الوسط. وإذا كانت الهمزة في وسط اسم على وزن فعائل
فإنه يقلبها ياء مثل: عوايق ص: ١٠٢ب. وأما الهمزة في آخر
الكلمة فإنه يثبتها.
- ب - الحواشي: يوجد في معظم الصفحات حواش على هامش
المخطوط.

- ج - يلاحظ أنّ الناسخ يكرّر دائماً آخر كلمة في الصفحات المتقابلة، يكرّرها في أول الصفحة المقابلة.
- د - يكتب الناسخ حرف النون مثل حرف الزاي.
- هـ - يختصر الناسخ كلمة: المطلوب كما يلي: المط ص: ١٠٣ اب و١٠٤.

هـ - النسخة الخامسة

وهي موجودة في الهند في دلهي وطبعت العام ١٣١١هـ/١٨٩٣م، مطبعة شمس المطابع. رمت هذه الطبعة نسخة في مكتبة بايزيد في تركيا ورقمها: ١٠٥٠٣٩ وقد حصلت على صورة لهذه الطبعة من هذه المكتبة. ويوجد نسخة أخرى منها في مكتبة بيت القرآن الكريم في لاهور برقم -297.162 551^(٨٤). وقد رمزت إلى هذه النسخة في التحقيق بـ: ب.

وصف المخطوطة

- ١- العنوان: تفسير سورتي الإخلاص والفلق لابن سينا مع الترجمة والحواشي المزيلة للغواشي.
- ٢- المؤلف: الشيخ الرئيس أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا، رحمه الله تعالى.
- ٣- الشارح والمترجم: العالم أبي القاسم محمد بن عبد الرحمن.
- ٤- الخط: نسخ.
- ٦- الأوراق: ٦٤ صفحة.
- ٧- الأسطر: ٥ أسطر.
- ٨- البداية: قوله جلّ جلاله قل هو الله أحد.
- ٩- النهاية: فهذا ما وقفت عليه من أسرار هذه السورة. والله تعالى أعلم بنهاياتها.
- ١٠- الحواشي: وضع نصّ تفسير ابن سينا في وسط الصفحة، ثمّ وضع حول النصّ خطّ مستطيل يحيط بالنصّ، ووضعت الترجمة إلى

الأردية فوقه. ثم وُضعت التعليقات العربية حول الترجمة، ويفصل بين الترجمة والتعليقات العربية أيضًا خطٌ مستطيل في كلِّ صفحة. وقد كُتبت هذه التعليقات بالخطِّ الفارسي. وهذه النسخة كثيرة الأخطاء والسقط. وقد اعتمدتُ على هذه النسخة في المقارنات بين النسخ.

المبحث الرابع

منهج ابن سينا في هذا التفسير والجانب الإلهي عنده

أولاً: منهج ابن سينا في هذا التفسير: يعدّ هذا التفسير تفسيراً فلسفياً وليس من قبيل التفسير بالمأثور. فابن سينا قد ضمّن فيه آراءه الفلسفية الإلهية، بدءاً من القول بالمبدأ الأول، وواجب الوجود، والعلة الأولى، إلى قضية الصفات وكيفية صدور المخلوقات عن الله تعالى وغير ذلك من أمور.

وهذا المنهج الذي اتّبعه ابن سينا في هذا المخطوط يتفق اتفاقاً تاماً مع فكره الفلسفي الإلهي في سائر كتبه وتآليفه. وهو من خلال شرحه بعض القضايا في هذا التفسير يحيل على أهمّ كتاب من كتبه وهو الشفاء. ويشرح ابن سينا كل آية على حدة، ويستخدم أحياناً أسلوب السؤال والجواب مثل قوله: فإن قيل... فنقول... ثم يضع خاتمة لتفسيره يلخص فيها مجمل الأفكار التي ناقشها في شرحه الآيات. وباختصار فإنّ هذا التفسير من مؤلفات ابن سينا الرصينة والتميّزة في المجال الفلسفي.

ثانياً: الجانب الإلهي عند ابن سينا

لما كان هذا التفسير له علاقة وثيقة بفكر ابن سينا الفلسفي كان لا بدّ لفهمه من تقديم توطئة عن آرائه في الإلهيات بشكل مناسب وغير مطوّل، وفهم الآراء الإلهية هذه ضروري لفهم القضايا الإلهية التي ضمّنها في هذا التفسير، فأقول:

يعدّ الجانب الإلهي في فكر ابن سينا الفلسفي الجانب الأهمّ في فلسفته الإلهية. هذه الفلسفة التي نجد فيها عمقاً وأيّ عمق، وإثارة لمشكلات كانت موضع مناقشات مستفيضة عند فلاسفة العصور الوسطى، وفيها إجابات هي حرية بأن تكون موضع تأمل واهتمام المفكر الذي تجذبه دائرة الميتافيزيقيا، وفيها امتزاج عجيب بين فكر أرسطي وفكر أفلاطوني، وفكر

إسلامي، وفيها جدّة قد نعدمها في بعض مجالات بحوثه الطبيعيّة . . . وإنّ نقطة واحدة من مئات النقاط التي أثارها في فلسفته الإلهيّة تحتاج إلى أبحاث وأبحاث حتّى يستطيع الدارس أن يسبر غورها^(٨٥). وإنّ الجانب الإلهيّ عنده هو الذي تعرّض للنقد والردّ من قبل العلماء أكثر من أيّ جانب من جوانب فلسفته كما ذكرنا سابقاً في ترجمته. ويعد كتاب الشفاء (قسم الإلهيات)، والنجاة (مختصر الشفاء)، والحكمة المشرقيّة، وكتاب الإشارات والتبنيّات، وهو آخر ما صنّفه وأجوده، من أهمّ كتب ابن سينا التي ضمّنها آراءه في الحكمة أو الفلسفة. وقد كانت الفلسفة عنده تشمل ما يلي: الإلهيات، والمنطق، والرياضيات، والطبيعة.

ونظرًا إلى أنّ موضوع الإلهيات متشعب في نظر ابن سينا، فسقتصر بحثي على تبيان أهمّ الأمور فيه ممّا يخدم فهم نصّ المخطوطة التي أحققها. وهذه الأمور هي:

- ١- تعريف العلم الإلهيّ.
- ٢- واجب الوجود بذاته باعتباره المبدأ الأوّل للوجود وطريقة الاستدلال عليه، والردّ على ابن سينا في ذلك.
- ٣- صفات الخالق سبحانه وتعدّها، والردّ على ابن سينا في ذلك.
- ٤- صفة العلم، والردّ على ابن سينا في ذلك.
- ٥- نظرية الفيض عند ابن سينا^(٨٦)، والردّ عليه في ذلك.

١ - تعريف العلم الإلهيّ

يعرّف ابن سينا العلم الإلهيّ la Science Divine بأنّه: «العلم الذي ندرس فيه العلل الأولى للوجود المادّي وما يتعلّق بهما، فعلة العلل مبدأ المبادئ وهو الله، وهو ما يجب أن نتحمّس له»^(٨٧). وقد أطلق على هذا العلم

(٨٥) مرفت عزّت بالي، الاتجاه الإشراقي في مشكلتي المعرفة والألوهية عند ابن سينا، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كليّة الآداب، قسم الفلسفة، ١٩٨٩، ص: ٣٦٩.

(٨٦) محمّد عاطف العراني، الفلسفة الطبيعيّة عند ابن سينا، ص: ٢٤.

(٨٧) مرفت عزّت بالي، الاتجاه الإشراقي في مشكلتي المعرفة والألوهية عند ابن سينا، ص: ٣٦٨.

العلم الإلهي لأنه يهتم بمعرفة الله تعالى ومعرفة الأمور المفارقة للمادة في الحدّ والوجود، فالهيات ابن سينا بمقالاتها العشر تتكلم على موضوعات عديدة، منه ما له علاقة مباشرة بالله تعالى كالمقالتين الثامنة والتاسعة، ومنه ما ليس كذلك، فالتسمية بالإلهيات من باب التوسّع والتغليب، ولهذا يطلق على العلم الإلهي تسميات أخرى عدّة^(٨٨) وهي:

أ - الفلسفة الأولى: لأنها العلم بأوّل الأمور في الوجود، وأوّل الأمور في العموم.

ب - الحكمة: لأنها علم أفضل الأشياء بأفضل علم، فهي أفضل علم لأنها علم اليقين، وأفضل معلوم لأنها تنصبّ على الباري جلّ شأنه، والأسباب التي من بعده. والحكمة عنده قسمان: نظرية وعملية، والإلهيات من الحكمة النظرية^(٨٩).

ج - ما بعد الطبيعة: ليس المراد بالطبيعة هنا القوّة التي هي مبدأ الحركة والسكون، بل يراد بها جملة الأشياء الحادثة عن المادة الجسمانية بما فيها من قوّة وأعراض.

وقد عوّل ابن سينا - كما سنرى - في إلهياته كثيرًا على «ميتافيزيقي» المعلم الأوّل أرسطو، مع تميّز ابن سينا بأنه كان: «أدقّ ترتيبيًا، وأكثر انسجامًا، وأوضح هدفًا، وأجلى عبارة»^(٩٠) من المعلم الأوّل.

٢ - واجب الوجود بذاته باعتباره المبدأ الأوّل^(٩١) للوجود وطريقة الاستدلال

(٨٨) يقول ماجد فخري: «إنّ قسم الإلهيات (وهو القرن الثالث عشر من موسوعته الفلسفية المعروفة بالشفاه) موضوع العلم الإلهي (أو الفلسفة الأولى، والحكمة المطلقة، وما بعد الطبيعة كما يدعوه أيضًا)». ماجد فخري، «موضوع الإلهيات عند ابن سينا وأسلافه»، في كتاب: «ابن سينا، إصدار اللجنة الوطنية اللبنانية للتربية والعلوم والثقافة (اليونيسكو)، ص: ١٠٣.

(٨٩) محمّد عاطف العراقي، الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، ص: ٢٤.

(٩٠) عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٤) ط ١، ج: ١، ص: ٤٤-٤٥.

(٩١) ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم مذكور، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ج: ١، ص: ٩، ٧-١١.

عليه عند ابن سينا، والردّ عليه في ذلك:
تمثّل منهج ابن سينا في حلّه لمشكلة الألوهية في نظرته ومعالجته للأمر
التالي:

- أ - حديثه عن واجب الوجود.
- ب - دليل الإمكان المتعلّق بإمكان وجوده تعالى.
- ج - لوازم واجب الوجود، وهي لا تخرج عن عين الذات.
- د - صفات المعاني^(٩٢).

فأول خطوة خطاها ابن سينا في كلامه على الله تعالى كمبدأ أول للوجود هو إثباته لضرورة وجود واجب الوجود الذي هو العلة الأولى وعلة العلل ومبدأ الكلّ والعلة الثامنة^(٩٣). وقد سلك في إثباته لواجب الوجود طريقة لم يُسبق إليها. ومع تأثر فلسفته الإلهية بأرسطو إلا أنه عدل في منهجه في إثبات وجود الله عزّ وجلّ عن دليل أرسطو^(٩٤) لأنّ دليل أرسطو لا يؤدي إلى أنّ الله علة فاعلة للعالم، عدل في ذلك إلى دليله هو الواجب والممكن والذي يُطلق عليه أيضًا الدليل الوجودي *Preue Ontologique*، فواجب الوجود عنده هو الضروري الوجود الذي متى فرض غير موجود عرض منه محال، أمّا الممكن الوجود فهو الذي متى فرض غير موجود أو موجودًا لم

(٩٢) المبدأ الأوّل هو: «واجب الوجود بذاته، وما عداه ممكن يستمدّ الوجود منه، هو مبدأ لأنّه يصدر عنه كلّ شيء، وأوّل لأنّه سابق أوّلًا على كلّ وجود، وهو تامّ الوجود لأنّه واجب الوجود بذاته ولذاته، وكلّ وجود فائض عن وجوده». ابن سينا، الشفاء، (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ج: ١، ص: ١٩. ومعالج ابن سينا بدقّة قضية المبدأ الأوّل في المقالة الثامنة من الإلهيات في الشفاء. انظر المرجع السابق نفسه، ص: ٩.

(٩٣) مرفت عزّت بالي، الاتجاه الإشراقي في مشكلتي المعرفة والألوهية عند ابن سينا، ص: ٣٧١.

(٩٤) وصف الله تعالى بالعلة الثامنة لأنّ جميع الأشياء توجد من أجلها، وهي لا توجد من أجل شيء. ابن سينا، الشفاء، (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ج: ١، ص: ١٩؛ وكذلك انظر كلام الفيلسوف الكندي الذي يصف الله تعالى بأنّه (العلة الأولى التي لا علة لها، والمتّمة التي لا تتم لها) في جميل صليبا، المعجم الفلسفي، (بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٤١٤هـ/١٩٩٤)، ج: ١، ص: ١٨٤.

يعرض منه محال^(٩٥).

وكان الهدف الرئيس لابن سينا في إثباته لواجب الوجود هو التوفيق بين نظرة الإسلام في أنّ للكون خالقًا، وأنّ الكون مخلوق، وبين النظرة الفلسفية التي تقول بقدّم العالم، إلا أنّ ابن سينا قد أخفق في هذا التوفيق ممّا جعله عرضة للتقدّم من علماء وفلاسفة مثل الغزالي وابن رشد وابن خلدون وغيرهم. فأما الغزالي فقد كَفَّرَه لأنّ آراءه تؤدّي للقول بقدّم العالم^(٩٦)، وأما ابن رشد فقد انتقد ابن سينا لأنّه خرج عن المنهج الأرسطيّ عندما تناقض في تقسيمه الموجودات إلى ثلاثة أقسام:

- ١- الممكن بذاته.

- ٢- الواجب بغيره الممكن بذاته، وهو يشمل على الكائنات ما خلا الله.
- ٣- الواجب بذاته وهو المبدأ الأوّل أي الله الذي يفيض منه الجوب^(٩٧).

واعترض ابن رشد هو على القسم الثاني من هذا التقسيم إذ اعتبره في غاية السقوط وذلك أنّ الممكن في ذاته وجوهره ليس يمكن أن يعود ضروريًا من قبل فاعله إلا إذا انقلبت طبيعة الممكن إلى طبيعة الضروري^(٩٨)، وهذا محال. فالله تعالى بنظر ابن سينا هو العلة الأولى

(٩٥) دليل أرسطو هو برهان الحركة الذي عوّل عليه في الجزء الثامن من (السما الطبيعيّ)، وعاد إليه في كتابه (ما بعد الطبيعة)... ابن سينا، الشفاء، (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ج: ١، ص: ٢١.

(٩٦) مرفت عزّت بالي، الاتجاه الإشراقيّ في مشكّلاتي المعرفة والألوهية عند ابن سينا، ص ٣٨٩.

(٩٧) الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحق محمود بيجو، (دمشق، دار الألباب، ١٤١٩/ ١٩٩٨)، ص: ٦٩-٧٢؛ وقارن بابين سينا، الشفاء، (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ص: ٢٢؛ ووفاء تقيّ الدين، المصطلحات الملمّية في كتاب القانون لابن سينا، ج: ١، ص: ٧٧-٧٨.

(٩٨) جليل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، منتخبات، (دمشق: مكتبة النشر العربيّ، ١٩٣٧/١٣٥٦)، ص: تا. حظي تقسيم ابن سينا للوجود إلى متمتع وممكن وواجب بقبول الفلاسفة المسلمين المتأخريين والمدرسيين اللاتين، وهو من ابتكار ابن سينا. والحقيقة أنّ ابن سينا ينيّ فلسفته كليًا على الضربة بين الأقسام الثلاثة هذه وعلاقة=

للكون، وقد استدلَّ على ذلك بدليل الممكن والواجب، وأقام برهانه على أمرين:

- ١- إنَّ العالم سلسلة مرتَّبة من عللٍ ومعلولات أي إنَّ جميع الموجودات التي فيه ممكنة لا بدَّ لها من علَّة توجد لها.
- ٢- إنَّ هذه السلسلة تنتهي بالضرورة إلى علَّة لا علَّة لها هو واجب الوجود بذاته^(٩٩).

«فعلة الوجود عند ابن سينا هي الوجوب، والسبب المهيَّئ له هو الإمكان، وهو ضروريٌّ لإثبات الوجود، فالوجوب إذن هو السبب الرئيس للإخراج من حالة الإمكان إلى حالة الوجود ولولا هذا لاستمرَّ كلُّ شيء في حالة الإمكان»^(١٠٠).

وقد أذعن ابن سينا في هاتين المقدمتين لعلماء الكلام كالجويني الذي يقول بأنَّ العالم كلُّه جائز، فابن سينا أذعن لهم بالرغم من انتقاده علماء الكلام وزعمه أنَّ الحاجة إلى الواجب هي الإمكان لا الحدوث. وقد انتقد ابنُ رشد في كتاب الكشف ابنُ سينا على خضوعه لعلماء الكلام في هذا.

=الماهیة بالوجود. أنظر سيّد حسن نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ص: ٤٠-٤١. (٩٩) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخبات، ص: تبع وتد. الخلاصة في الفرق بين آراء ابن سينا وابن رشد فيما يتعلَّق بتقسيم الموجودات إلى الواجب والممكن هو: «إنَّ ابن رشد يبيِّن انقسام الموجودات إلى ممكن وواجب في الحركة ويمتعه في الجواهر لأنَّ الجواهر عنده أزلية والبقاء لها من قبل ذاتها لا من قبل غيرها، والممكن الوجود لا يمكن أن يصبح واجب الوجود إلا إذا انقلبت فيه طبيعة الإمكان إلى طبيعة الضرورة، والإمكان السرمدي هو الوجود الضروري. أما عند ابن سينا فإنَّ الجواهر ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها، والجزئيات أعراض ممكنة بالقياس إلى الكلِّيات، وقرلنا إنَّها أعراض ممكنة بذاتها وواجبة بغيرها لا يجعل العالم في حظيرة الإمكان، بل يجعله مع إمكانه مصطبغاً بصبغة الوجوب». جميل صليبا، بين ابن سينا وابن رشد، فصله من مجلَّة مجمع اللغة العربيَّة بدمشق، ج: ١، م ٥٠، (دمشق، ١٣٩٥/١٩٧٥)، ص: ١٦-١٧.

(١٠٠) بدوي، موسوعة الفلسفة، ص: ٤٧.

ويظهر أنّ ابن سينا لم يقم هذه المقدمات إلّا ليتوصّل إلى القول بإبداع العالم على وجه شبيه بطريقة الأفلاطونية الحديثة، وهو بهذا المعنى كأفلاطون يجعل المادّة قديمة ولكنّه يجردّها من كلّ حقيقة جوهرية، ويزعم أنّها نفرت الإمكان والعدم^(١٠١). فالعالم عند ابن سينا مخلوق من عدم ولكنّه قديم «كان الله وخلق»، لا أنّه كان ثمّ خلق، لأنّ القول بحدوث العالم على نحو ما تصوّره أحداث المتفلسفة الإسلامية يؤذّن بطرؤه التغيّر على الله تعالى وهذا محال... فالقول بحدوث العالم ينظرهم يؤدّي إلى التعطيل.

أمّا طريقة ابن سينا في إثبات وجود الله تعالى فهي تعتمد كلّ الاعتماد على التفرقة بين الواجب والممكن، فهو قد استدلّ على وجوده تعالى من الوجود نفسه بتقطع النظر عن الواقع المشاهد من هذا العالم بعكس طريقة المتكلّمين الذين يستدلّون بحدوث العالم على وجوده تعالى^(١٠٢)، ويرى ابن سينا أنّ هذا الدليل الوجودي هو أوثق وأشرف وأولى من غيره لأنّه استشهاد بالحقّ على كلّ شيء، وليس استشهاداً بكلّ شيء على الحقّ تبارك وتعالى. وهذا الدليل هو أولى البراهين بإعطاء اليقين لأنّه استدلال بالعلّة على المعلول وليس استدلالاً بالمعلول على العلّة^(١٠٣).

وبالإضافة إلى الاستدلالات السابقة على وجود الله تعالى فقد عزّز ابن سينا استدلالاته على وجود الله تعالى بآيات الآفاق والأنفس وبالاستشهاد عليه سبحانه بكلّ شيء، كما دلّت على ذلك آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿سترسيم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبيّن لهم أنّه الحقّ أو لم يكف بربّك أنّه على كلّ شيء شهيد﴾^(١٠٤)، وهكذا اتّخذ ابن سينا من

(١٠١) سالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٢-٣٤٣.

(١٠٢) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخجات، ص: ند-ته.

(١٠٣) مرت بالي، الاتجاه الإشراقي، ص: ٣٨٣. ويسمى دليل المتكلّمين كذلك بدليل الحدوث.

(١٠٤) سالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٣-٣٤٤، وقارن باين سينا، الشفاء (الإلهيات ٢)، قدّم له إبراهيم مذكور، وحققه محمّد يوسف موسى ورسليمان دنيا وسعيد زايد، (القاهرة: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، =

التأمل العقليّ أو النظر العقليّ في النفس والوجود طريقًا لإثبات واجب الوجود (الله) عزّ وجلّ، وهذا ممّا يُشهد له بالبراعة والأصالة في التفكير^(١٠٥).

٣ - صفات الخالق سبحانه وتعالى، والردّ على ابن سينا في ذلك وصف الله تعالى ذاته في القرآن الكريم بصفات عديدة ومنها ما أطلق عليه العلماء اسم صفات المعاني وهي: (الحياة، والإرادة، والقدرة، والعلم، والسمع، والبصر، والكلام)، وهذه الصفات الكريمة ملازمة للذات ولا تتنافى مع وحدانيته سبحانه ولا تؤدّي إلى التعدّد في ذاته العليّة. في حين رأى أكثر الفلاسفة وعلى رأسهم ابن سينا متأثرًا بمن سبقوه، وبناء على تعريفه لواجب الوجود، وبناء على بساطة ذات الله تعالى، رأى أنّ كلّ الصفات التي وردت في الشرع وتجب لله تعالى إنّما ترجع لصفة العلم والإدراك على اعتبار أنّ ذات الله علم محض، وعقل محض، وإدراك محض^(١٠٦). فإرادة الله تعالى مثلًا ليست مغايرة للذات لعلمه، ولا علمه مغاير لإرادته، بل إنّ علمه هو عين إرادته، وإرادته هي عين قدرته، وإرادته هي كون ذاته عاقلة للكل^(١٠٧).

وليست محاولة ابن سينا هي المحاولة الأولى في ردّ الصفات التي وردت في الشرع إلى صفة لا تتنافى مع بساطة واجب الوجود بذاته، فقد قام المعتزلة قبله برّد الصفات إلى صفة واحدة هي العلم، وذلك بهدف تنزيه الباري سبحانه، وكذلك حاول الفارابي قبل ابن سينا، إلّا أنّ ابن سينا قد فاق من قبله في وضوحه ودقّة تفصيلاته وتعليقاته^(١٠٨).

= (١٣٨٠/١٩٦٠)، ص: ٣٥٤.

(١٠٥) فصلت: ٥٣.

(١٠٦) مرفت بالي، الاتجاه الإشراقي، ص: ٣٨٩.

(١٠٧) سالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٤.

(١٠٨) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخجات، ص: تز. يقول ابن سينا في المقالة الثامنة من الإلهيات الفصل السابع: فواجب الوجود ليست إرادته مغايرة لعلمه، ولا مغايرة المفهوم لعلمه، فقد بيّنا أنّ العلم الذي له بعينه هو الإرادة التي له. إين سينا، الشفاء (الإلهيات ٢)، قدّم له إبراهيم مذكور، وحققه =

ولا يخفى خطأ المعتزلة وابن سينا ومَن سار على نهجهم في ردّ الصفات إلى صفة واحدة أو اثنتين، بسبب أنّ وظيفة كلّ صفة تختلف عن الأخرى معنىً ومتعلّقًا، فكيف يمكن مثلاً ردّ صفة العلم إلى القدرة والإرادة أو العكس، مع العلم بأنّ وظيفة ومتعلّق كلّ صفة مغاير للأخرى؟

«أما فيما يتعلّق بالصفات الأخرى أي غير صفات المعاني كصفات الأسلوب مثلاً، فقد حاول ابن سينا أن يردّ تلك الصفات إلى نفس الذات إمّا عن طريق السلب أو عن طريق الإضافة، وإمّا عن طريق السلب والإضافة معاً. وهذان الطريقتان اللذان لجأ إليهما ابن سينا هما طريقتان من طرق التعبير عن كمال واجب الوجود المطلق. وقد علّل ابن سينا سبب اختياره لطريق السلب أنّه للمحافظة على وحدة واجب الوجود وبساطة ماهيته»^(١٠٩)، وهذه تعتبر ميزة امتاز بها ابن سينا عمّن سبقوه من حيث التعليل والشرح. لذلك يقول ابن سينا شارحاً ما تقدّم في شأن الصفات: «ثم إنّ العلم والإرادة والحياة وجميع الصفات الأخرى ليست مقوِّمة لذات الإله، لأنّها لو كانت كذلك لأوجبت في ذاته كثرة، وكانت هي نفسها قديمة، إلّا أنّ الصفات بعضها موجود في الواجب مع إضافة، وبعضها موجود فيه مع سلب، فليست توجب إذن في ذاته كثرة ولا مغايرة، فلو قال قائل: إنّ الإله واحد لم يعن إلّا الوجود مسلوباً عنه القسمة والشريك، وإذا قال: عقل وعاقل ومعقول لم يعن إلّا هذا الوجود المجرد في نفسه مسلوباً عنه جواز مخالطة المادّة وعلائقها مع اعتبار إضافة، وإذا قيل: مريد لم يعن إلّا كون واجب الوجود مع عقلته، أي سلب المادّة عنه، مبدأ لنظام الخير كلّها»^(١١٠).

=محمد يوسف موسى سليمان دنيا وسعيد زايد، ص: ٣٦٧؛ وقارن بابن سينا،

كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، تحقيق ماجد فخري،

(بيروت: دار الأفاق الجديدة، ١٩٨٥/١٤٠٥)، ط ١، ص: ٢٦٨.

(١٠٩) سالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٤-٣٤٥.

(١١٠) المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤٥-٣٤٦. وقارن بابن سينا، الشفاء (الإلهيات ٢)،

قدّم له إبراهيم مذكور، وحقّقه محمد يوسف موسى وسليمان دنيا وسعيد زايد،

ص: ٣٥٤.

ويرى ابن سينا أن هذه الصفات التي نصف بها واجب الوجود لا تدلّ على معان مقوّمه لذاته، بل هي أسماء تدلّ على معان سلبية ونحن إنّا نستعملها لأنّه ليس عندنا لهذه المعاني أسماء غير هذه الأسماء، فاللغة ضيقة والفكر حائر^(١١١).

فابن سينا قد تأثر في مسألة الصفات بمن سبقوه من الفلاسفة، فهو أولاً: أخذ بكثير من الصفات التي ذكرها أرسطو لكنّه قد غير بعضها كعلم الله بالكون - كما سنرى - وأكملها ليدخل عليها شيئاً من الحياة والحركة. «فإنّه أرسطو لا يفعل شيئاً وليس له رغبة ولا إرادة ولا غاية، نعم إنّه فعل محض وعقل محض لا يعقل إلا ذاته، أمّا إله ابن سينا فهو جامع للصفات التي ذكرها أرسطو ولكنّه فوق ذلك خير محض وعقل محض ومعقول محض وعاقل محض وهو حلیم وعليم وحی وقادر ومريد... المبدع الأول»^(١١٢).

ثانياً: أخذ ابن سينا بنظرية سلب الصفات التي أخذ بها الأفلاطونية الحديثة والمعتزلة والكنديّ والفارابي، إلا أنّ ابن سينا تميّز بمنهجه وتعليقاته، فهو قد علّل سبب اختياره لطريقة السلب في الصفات أنّه للمحافظة على وحدة واجب الوجود وبساطة ماهيته^(١١٣).

ولا شكّ في أنّ منهج ابن سينا السابق في الصفات لا يتفق مع المنهج الإسلاميّ في الصفات، إذ إنّ أبسط محذور يقع فيه هو تعطيله لصفات عديدة ومتعلّقات هذه الصفات التي أثبتّها الله تعالى لنفسه، فلا يعقل إلغاؤها لا عقلاً ولا شرعاً. وهذا المحذور الذي وقع فيه ابن سينا ظهر جلياً عندما تناول صفة العلم وعلم الله بالكون. وهو ما سنفضّله الآن.

(١١١) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخبات، ص: تو.. وقارن بابن سينا، كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، تحقيق ماجد فخري، ص: ٢٨٧.

(١١٢) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخبات، ص: تز.

(١١٣) المرجع السابق نفسه، ص: تط وني.

٤ - صفة العلم، والردّ على ابن سينا في ذلك

أثبت ابن سينا لله تعالى هذه الصفة، إلا أنه خالف كلاً من أرسطو والعقيدة الإسلامية ولم ينجح في التوفيق بين الدين والفلسفة في هذا الأمر أيضاً. أمّا مخالفته أرسطو فبعدم متابعتها أرسطو الذي يقول بأن واجب الوجود لا يعلم إلا ذاته، فقرر ابن سينا أن الله تعالى يعلم ذاته ويعلم غيره بما لا يتنافى مع الخصائص الفلسفية لواجب الوجود بذاته، «فالأول وهو الله تعالى عتق عقل ذاته ويلزم عن هذا أنه عاقل ومعقول في نفس الوقت، وكونه معقولاً وعاقلًا لا يتكرر في ذاته ولو بالاعتبار»^(١١٤).

ويرى ابن سينا أن الله تعالى يعلم الأشياء علمًا كليًا، وكما لا يخالف القرآن استخلص من علم الله بالكليات علمه سبحانه بالجزئيات، أي إن الله يعلم الأسباب ويعلم ضرورة ما يترتب عليها فيكون مدرّكًا للأمور الجزئية من حيث هي كلية^(١١٥). وبذلك ينكر ابن سينا علم الله بالجزئيات وتفصيلاتها، وذلك مبنيّ عنده على أمرين:

١- ما اعتنقه من تنزيه الباري سبحانه من أيّ تغير في ذاته من قريب أو بعيد، لأن العلم بالجزئيات يقتضي التغير.

٢- إن نظريته في المعرفة تعتبر أن العلم بالكليات أعلى رتبة من العلم بالجزئيات، فعلم الله كليّ لا جزئيّ، لأن العلم بالكليات يكون بالتحقّل، والعلم بالجزئيات يكون بالإحساس والتخيّل، والمعرفة الحاصلة عن طريق الإحساس والتخيّل دون المعرفة الحاصلة عن طريق التحقّل، وإن نتائج المعرفة عن طريق الإحساس والتخيّل جزئية ونسبية ومتغيرة، والله تعالى منزّه عنها، فتكون النتيجة أن علم الله تعالى كليّ لا جزئيّ.

بهذا يكون ابن سينا قد وقع في مخالفة صريحة للقرآن الكريم الذين يثبت

(١١٤) قارن بالمرجع السابق نفسه، ص: ٢٢؛ وسالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٥-٣٤٦.

(١١٥) المرجع السابق نفسه، ص: ٣٤٦. وقارن بابن سينا، كتاب النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية، تحقيق ماجد فخري، ص: ٢٨١.

علم الله تعالى بتفاصيل الكون حتى إنه لا تسقط ورقة من شجرة إلا ويعلمها، قال الله تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾^(١١٦)، وقال تعالى: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾^(١١٧)، وانتظام الكون الذي نعيش فيه بشكل تحار منه العقول، كل ذلك يدلنا على علم الله المحيط بكل شيء^(١١٨). وقد انتقد الغزالي ابن سينا بأنه كيف يزعم أن الله تعالى يعلم الأشياء علماً كلياً لا يدخل تحت الزمان ولا يختلف بالماضي والمستقبل والآن، ومع ذلك زعم أنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، وأنه يعلم الجزئيات بنوع كلي، فهل هذا أصلاً يسمى علماً بالجزئيات؟^(١١٩).

٥ - نظرية الفيض عند ابن سينا والرد عليه في ذلك

قد ذكر ابن سينا في تفسير سورة الإخلاص عبارات لها علاقة قوية بنظرية الفيض^(١٢٠) ولهذا اقتضى الأمر شرحها. تسمى هذه النظرية الفيض أو الصدور^(١٢١) (صدور المخلوقات عن الله تعالى)، وهي التي تفسر لنا علاقة الكون بخالقه. وقد أخذ ابن سينا بهذه النظرية متأثراً بالفارابي قبله وكان مصدرهما الفيلسوف أفلوطين، وقد جمعا في هذه النظرية بين آراء أفلاطون وأرسطو وخلطها ببعضها ببعض، كل ذلك بهدف الجمع بين الدين والفلسفة في ما يتعلّق بمسألة الخلق^(١٢٢). «فأخذنا من أرسطو قوله إن فوق العالم إلهاً، وإن هناك أفلاكاً ذات حركات مستديرة، وإنها تتحرك

(١١٦) ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ج: ١، ص: ٢١.

(١١٧) الأنعام: ٥٩.

(١١٨) سبأ: ٣.

(١١٩) أنظر ردّ الإمام بدیع الزمان سعيد النورسي على الفلاسفة في هذا الأمر في كتابه:

الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحی، ص: ٤٧٢-٤٧٧، وص: ٦٤٦.

(١٢٠) بدوي، موسوعة الفلسفة، ص: ٤٩.

(١٢١) وذلك مثل قوله عند شرحه لقوله تعالى ﴿لم يلد ولم يولد﴾: «.. لما كانت هويته

تتضي الإلهية التي معناها الإفاضة على الكل وإيجاد الكل فلعله يفيض عن وجوده

وجود مثله...».

(١٢٢) ابن سينا، الشفاء (الإلهيات)، مقدّمة إبراهيم المذكور، ج: ١، ص: ٢١.

بتأثير العقول، وأخذاً عن أفلاطون وأفلوطين قولهم إنَّ الكثير لا يصدر عن الواحد، وإنَّ الإله يعقل ذاته، ويعقل الأشياء على الوجه الكلّي، وإنَّ عقله لذاته يولد العقل الأوّل، وإنَّ العقل يتأمّل الواحد ويعود إليه، ثمَّ إنَّ هذه الآراء قد مزجت عند ابن سينا بآراء المنجّمين وتعاليمهم، وقد كان الطبيعيّون والمنجّمون في ذلك العصر ينسبون إلى الأجرام السماويّة أفعالاً وآثاراً في هذا العالم مختلفة، تدلّ على اختلاف طبائعها، فيفيض عن الجرم الأقصى على الأجسام استعداد المادّة لقبول الصورة، ويفيض منه على النفوس ما يُهيئها لقبول العقل بالفعل، ويفيض من كوكب زحل قوّة تفعل في الأجسام برداً وجموداً، وتولّد في النفوس استعداداً لقبول التخيل والتذكّر والتفكّر والتوهّم... وهذا التأثير الذي للأجرام السماويّة في أحوال الموجودات الأرضيّة هو نهاية ما توصّلت إليه هذه النظرية العجبيّة^(١٢٣). وتستند نظرية الفيض عند ابن سينا إلى ثلاثة مبادئ: ١ - تقسيم الموجودات إلى ممكن وواجب. ٢ - إنَّ الواحد لا يصدر عنه إلاّ واحد. ٣ - أن تعقل الإله علّة للوجود على ما يعقله^(١٢٤). وقد أثارت هذه النظرية ردود فعل قاسية وقوّة من العلماء والفلاسفة.

٦ - ردود فعل العلماء والفلاسفة المسلمين على نظرية الفيض كانت ردود فعل العلماء والفلاسفة المسلمين على هذه النظرية قاسية وعنيفة. فقد قال الغزالي معلقاً عليها بتهكم: «ما ذكرتموه تحكّمات، وهو على التحقيق ظلمات فوق ظلمات، لو حكاها الإنسان في نومه عن منام رآه لاستدلّ به عن سوء مزاجه»^(١٢٥). وقال ابن رشد: «والعجب كلّ العجب كيف خفي هذا على أبي نصر وابن سينا لأنهما أوّل من قال هذه الخرافات فقلّدهما الناس، ونسبوا هذا القول إلى الفلاسفة»^(١٢٦).

(١٢٣) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخجات، ص: تم.
(١٢٤) جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا، ص: ٩٧-٩٨.
(١٢٥) جميل صليبا، ابن سينا، درس، تحليل، متخجات، ص: تم.
(١٢٦) الغزالي، تهافت الفلاسفة، تحقيق محمد يبجو، ص: ٧٠-٧١.

إنّ ابن سينا ابتعد في هذه النظرية المتهافئة عن أرسطو، ومزج آراءه بآراء أفلاطون بهدف التوفيق بين الدين والفلسفة، بيد أنّه فشل مرّة أخرى. والتزامه بهذه النظرية لزم عنه مخالفة واضحة للعقيدة الإسلامية في الأمور التالية:

أولاً: بالرغم من أنّ ابن سينا يقول بخلق العالم ليوافق بذلك العقيدة الإسلامية بيد أنّه يتناقض عندما يقول بأنّ العالم ممكن بذاته واجب بغيره ممّا يلزم عنه قدم العالم وأزليّته، فهو يرى أنّ الله تعالى كان والعالم معه، لا أنّه كان الله ثمّ خلق العالم، وظاهر فساد هذا الرأي لأنّ العالم حادث ومخلوق خلقه الله تعالى، ولا يمكن أن يكون قديماً، كما ثبت ذلك في القرآن، وكذلك فقد أثبت العلم الحديث أنّ للكون بداية، وأنّه ليس أزليّاً كما كان يظنّ الفلاسفة.

ثانياً: تعطي نظرية الفيض الوسائط والعقول المقارقة صفات كصفات الخالق سبحانه، وتنسب إليها الخلق، فهي تشارك الله في ربيّيته، وتُظهر هذه النظرية المتهافئة القدير المطلق على كلّ شيء والمستغني المطلق عن كلّ شيء، تظهره غلى أنّه بحاجة إلى الوسائط العاجزة كي يخلق^(١٢٧)، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً^(١٢٨). ولا تترك هذه النظرية مجالاً لحرية واختيار الخالق سبحانه، بل تخضعه للضرورة ونظام الكون العامّ، وهذا يخالف العقيدة الإسلامية مخالفة واضحة لأنّ الله تعالى هو وحده خالق هذا الكون بكلّ عوالمه ومبدعه ومدبّره، وهو مختار يفعل ما يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل وغيره يُسأل، وإرادته نافذة في كلّ شيء قال الله تعالى: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾^(١٢٩)، وقال أيضاً: ﴿قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين... ذلك تقدير العزيز العليم﴾^(١٣٠)، فهذه الآيات، وغيرها

(١٢٧) جميل صليبا، من أفلاطون إلى ابن سينا، ص: ٩٩.

(١٢٨) سعيد النورسي، الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالح، ص: ٦٤٤.

(١٢٩) يس: ٨٢.

(١٣٠) فصلت: ٩-١٢.

كثير، صريحة في أنّ الله تعالى يفعل عن إرادة في أزمان متباينة، ممّا يتنافى مع فكرة الخلق بالإيجاب والفرض الضروريّ التي تتضمنها نظرية الفيض (١٣١).

هذا باختصار فكرة الألوهية عند ابن سينا التي تقوم برأيه على أساس التوحيد والتزبه، فالتقت في بعض جوانبها العقيدة الإسلامية إلا أنّها خالفتها في كثير من الأمور. إتفقت معها في إثبات وجود واجب الوجود، وخالفتها في نفي الصفات وحصر علم الله تعالى في الجزئيات ونظرية الفيض وغيرها من أمور.

وقد تميّز منهج ابن سينا في كلّ ما سبق بقدرته الفائقة على الدمج بين العناصر الفلسفية (المستمدة من أرسطو وأفلاطون وغيرهما) (١٣٢)، والدينية الإسلامية، ومحاولته التوفيق بينها وتبسيطها بقدر الإمكان. إلا أنّه لم ينجح في ذلك كسلفه الفارابي. ومحاولة الجمع بين الفلسفة والدين كان شأن جميع الفلاسفة الإسلاميين كما فعل ابن رشد بعدهما في كتابه: فصل المقال فيما بين الشريعة والحقيقة من الاتصال. ومع فشل ابن سينا في التوفيق بين الفلسفة والدين، ومع التناقضات التي وقع فيها، إلا أنّه استطاع أن يبني مذهباً فلسفياً خاصاً به وأن يظهره بشكل متناسق متناغم.

٥٠٠

(١٣١) سالم مرشان، الجانب الإلهي عند ابن سينا، ص: ٣٤٩-٣٥٠.
(١٣٢) يقول جميل صليبا عنه: إنّه أرسطيّ العقل أفلاطونيّ القلب، يبني هيكلًا أفلاطونيًا بحجارة مشائيّة. جميل صليبا، بين ابن رشد وابن سينا، ص: ٢١.

المبحث الخامس
٢ عملي في التحقيق
وصور عن النسخ المخطوطة

إنقسم عملي في تحقيق هذا المخطوط إلى ثلاثة أقسام:

- ١ - القسم الأول: كتابة المقدمة وقد تضمنت:
 - أ - نبذة عن حياة المؤلف وأهم مؤلفاته في التفسير، ومدى صحة نسبة هذا التفسير إليه. ووصف المخطوطات التي حصلت عليها، ومنهج المؤلف في هذا التفسير، وأهم أفكاره الفلسفية الإلهية.
 - ب - صوراً عن أول النسخ التي حصلت عليها لإخراج هذا النص (أطلب الصفحات ٤٢٩ إلى ٤٣٣).

٢ - القسم الثاني: تحقيق النص المخطوط

- أ - بما أن الهدف من تحقيق أي نص مخطوط هو إخراج نص قريب من نص المؤلف الأصلي، فقد تمّت بالحصول على خمس نسخ من هذا التفسير أربع منها مخطوطة، وواحدة مطبوعة. وقد قمت بمقارنتها حسب الأصول المتبعة في تحقيق النصوص.
 - ب - المصنّعات المستخلصة في التحقيق: ذكرتها لاحقاً في صفحة مستقلة قبل النص المحقق.
 - ج - وضعت المقارنات بين النسخ في حاشية النص المحقق، وأما التعليقات فقد أفردتها في القسم الثالث.
 - د - قسّمت النص المحقق إلى مقاطع تسهيلاً لمتابعة الأفكار لدى القارئ، وقمتُ بترقيم السطور في الهوامش اليسرى منه تسهيلاً لمراجعة التعليقات التي جعلتها في القسم الثالث. وقد وضعت في الهامش الأيمن من النص المحقق قوسين معقوفين وبيتهما بداية أرقام صفحات المخطوطات التي قررن بها النص.
 - هـ - إتبعْتُ قواعد الإملاء الحديثة خصوصاً في ما يتعلق بكتابة الهمزات

في أوّل الكلمة ووسطها وآخرها. وقمّت بتشكيل بعض الكلمات.
و - ذكرت في أعلى كلّ صفحة رقم الآلة التي هي قيد الشرح.

٣ - القسم الثالث: التعليقات على النصّ المحقّق
وهي تتضمّن شروطًا للمصطلحات الفلسفيّة الواردة في النصّ،
ومقارنات لبعض المسائل المهمّة في النصّ المخطوط بأصوله من كتب
ابن سينا، وبعضها تخريج لحديث.

٤ - أخيرًا ذكرت المصادر والمراجع :-

لوجود كل ما رآه من الموجودات ثم عقب بيان ذلك انه
 لا يتولد عنه غير ملانته غير يتولد عن غيره وبين انه وان كان
 الهاجج الموجودات فبإضافة الموجود عليها ولا يجوز ان
 ينقص الوجود على مثله كالممكن ووجه من فضل عنه ثم
 عقب ذلك بيان انه ليس في الوجود ما يساويه في وجه الوجود
 من اول السورة الى قوله الله الصمد في بيان ماهيته
 ولوازم ماهيته ووجه حقيقته وانه غير مركب اصلا و
 من قوله لم يلد الى قوله كفوا احد في بيان انه ليس له ما
 يساويه من نوعه ولا من جنسه لا بان يكون متولدا
 ولا بان يكون متولدا عنه ولا بان يكون موافقا في الوجود بهذا
 المبلغ يحصل تمام معرفة ذاته ولما كان المقصد الاقنى
 من طلب العلوم باسرها معرفة ذات الله تعالى بوصفاته
 وكيفيته صذورا فقال عنه وهذه السورة دالة على
 سبيل التبرير والاعمال التي تتعلق بالعبادات
 والله لا يجرم هذه السورة ثم قال دله لتلك القران بهذا
 ما ذكره من اضرار هذه السورة تمت الرسالة

والحمد لله رب العالمين

والعلم خير الرسل

والله

